جامعة جالا الإسلامية
تايلانـد
قسم اللغة العربية

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبوالخير
الخبير الدولي في اللغة العربية

دستور اللغـة العربيـة

الحلقـة الرابعـة
١٤٣٢ هـ ٢٠١١ م

abu_elkher@yahoo.com

الناشر
دار الأصدقاء بالمنصورة

الإهداء

إلى الصديق العزيز الذي استقبلني بجامعة جالا، وقدم لي كل عون ممكن ، ونصح مخلص، سِمي [1] أبي - رحمه الله - وإلى رفيقيه (الزول المصري) و (الزول السوداني) فقد قدما لي الكثير والكثير، وما زالا يقدمان إلى الآن. .

المؤلف
الأستاذ الدكتور
أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة جالا الإسلامية
تايلانـد
abu_elkher@yahoo.com

(١) السمي : ما جاء على اسمه ، أو مماثلا له.

مدخل الموضوع

هذه هي الحلقة الرابعة من دستور اللغة العربية ، كتبت الحلقة الأولى والثانية في عروس المدن الجديدة ، دمياط الجديدة ، من أعمال مصر العامرة - حرسها الله من أعدائها المتربصين بها - وعلى ضفاف نيلها.

الحلقة الثالثة كتبت هنا في حرم جامعة جالا الإسلامية في جالا ، أو قل في قرية سورون من أعمال مدينة جالا ، ثم طبعت في مصرنا الغالية ، انتهينا فيها إلى المادة الثلاثين بشروحهن.

وفي هذين الشهرين شغلنا عن دستور اللغة العربية بكتاب تضمن دراسة عن الدور السياسي للمغيرة بن شعبة ت ٥٠ هـ ، بدءا من رحلته إلى مصر الذي قتل فيها رفقاء سفره الثلاثة عشر، لم ينج منهم غير واحد فقط ، ولعله من أخبر بالمأساة ، ومرورا بحضوره أمام الرسول (ﷺ) قبل الحديبية ، ثم في عصور أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلى أن مات واليا على الكوفة في عهد معاوية بطاعون الكوفة الذي فر منه عام ٤٩ هـ ثم عاد إلى الكوفة فمات بهذا الطاعون ، في العام التالي.

ممن كتب عن المغيرة أستاذنا المرحوم الدكتور محمد حلمي، الذي كان يدرس لنا في دار العلوم نهاية الستينات من القرن الماضي ، وعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين ، الذي أوصى بدراسة هذه الشخصية الغامضة ، وأستطيع أقول لقد جليت غوامض هذه الشخصية ، وبينت دورها ، سواء في نسج الحدث أي صناعته ، أو صباغته ، أي توجيهه الوجهة التي تفيده ، والحمد لله رب العالمين.

المغيرة واحد من دهاء العرب المشهورين وهم (معاوية وعمرو وزياد بن أبيه وعبد الله بن بديل بن ورقاء وقيس بن سعد) الذين رسموا أهدافهم بدقة حتى حققوها كاملة غير منقوصة ، وقد فاز الإمام عليّ بثلاثة من هؤلاء الخمسة ، وقفوا إلى جانبه حتى النهاية ، في حين حاربه معاوية وعمرو ، المغيرة وقف على الحياد حتى استشهد الإمام عليّ ، فانضم إلى معاوية ليصبح واليه على الكوفة وساعده الأيمن مع عمرو بن العاص.

وأنت ـ عزيزي القارئ ـ يمكن أن نتعلم من هؤلاء الدهاة كيف تصل إلى هدفك ولكن تذكر هناك قيامة وحساب ، لا درهم فيها ولا دينار ، العملة الوحيدة الحسنات والسيئات ، يؤخذ من حسناتك لحساب من ظلمتهم ، فإن فنيت ونفدت حسناتك أخذ من سيئاتهم، فأضيفت إلى سيئاتك ، والعياذ بالله.

والآن نبدأ الحلقة الرابعة من الدستور، ففي سورون كورة جالا التي تبعد عنها حوالي ١٢ ك.م فقط ، نبدأ بالمادة الحادية والثلاثين ، ولازلنا في حرم (الصرف العربي) أو نظام الكلمة ، وإن كنا أوشكنا على الانتهاء منه ، على أمل أن نتمكن من الانتهاء من دستور العربية كاملا مكتملا ، لتصبح العربية أول لغة تحظي بهذا الدستور ، والعقبى للغات الأخر ، إن شاء الله تعالى.

والآن لا نثقل على القارئ ، نهرول إلى المادة الحادية والثلاثون ، مشفوعة بما فتح الله به من شروح.

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
خبير جامعة جالا
تايلانـد

المادة الحادية والثلاثون
{٣١}

اللغة العربية يغلب عليها الاشتقاق ، وإن كان فيها لصق ، وإن بشكل أقل لكن الاشتقاق له نظامه وقوانينه التي لا يخرج عنها.

صحيح صحيح ما تقول يا صاحب الدستور؟ لكني سائلك أن تفصل وتشرح ما قلت ؟ حبا للقارئ وكرامة ، فالعربية - يا سادة - هي لغة اشتقاق ، أو هي لغة اشتقاقية ، أي يغلب عليها الاشتقاق ، دون أن يغيب عنها ما يسمى باللصق.

أصل من الصوامت ، تتصرف فيه بتغيير الحركات لتنتج عديدا من الكلمات (ك ت ب) كتب ، كُتِب - بكسر التاء - كتُب بضم التاء ، كل هذا اشتقاق.

ولكن الاشتقاق يأتي في كثير من الأحيان مصاحبا للصق ، وهو الأغلب في كلمات العربية (فهم) يفهم ، افهم ، فهم ، فاهم ، مفهوم ، فهامة ، استفهام .. يلاحظ أن اللصق يأتي أول الكلمة أو آخرها ومصاحبا للاشتقاق ، كما في (ع ل م ← علم ، يعلم ، معلمة ، علامة ... الخ).

العربية عندها عناصر أصلية أو (حروف) في الأفعال ثلاثة أو أربعة أصول فقط ، وفي الأسماء ثلاثة أصول أو أربعة أو خمسة ، ولا تزيد الأفعال عن أربعة أصول البتة ، مثال الأفعال :

- الثلاثية ← كتب.
- الرباعية ← دحرج.

ويزاد على الثلاثي حرف أو اثنان إلى ثلاثة فقط ، مثل : قتل ← قاتل ، انقتل ، استقتل ، ويزاد على الرباعي حرف واحد أو حرفان فقط ، مثل دحرج ← تدحرج ، بزيادة التاء ، ومثل (تمسكن - تجورب) بزيادة التاء والميم في الأولى ، والتاء والواو في الثانية [1].

وفي الإشتقاق ونظام الكلمة في العربية نظم ، وقوانين ، منها :

أولا - لا تبدأ الكلمة العربية - ولا المقطع - بحركة طويلة ولا قصيرة ، ولا تبدأ بصامتين متجاورين ، لكن تنتهي في النثر - لا في الشعر - بحركة طويلة فقط ، ليس بقصيرة البتة ، كذلكم تنتهي الكلمة والمقطع بصامتين متجاورين خاصة في الوقف ، كما في (بذر - سهم).

ثانيا - إن الأصول ، أو ما يسميه علماء العربية بالحروف الأصلية لا تكون - يا رحمك الله - إلا من الصوامت ، فقط ؟ كلا ، ومن أصوات اللين ، أي الواو والياء w – y مثل (ولد - قوي) الأصول على التوالي (و ل د - ق و ي) معنى هذا يا صاحب دستور العربية أن شيئاً من الأصول لا يأتي من الحركات القصيرة ، فضلا عن نظائرها الطوال ؟ نعم بكل توكيد.

بكل توكيد ؟! قف مكانك ، فما تقول في الكلمات (قال - يقول - يقيل - يعصى - دعا - يدعو - العصا - النهي) الأفعال الجوف ، والناقص ، واللفيان المفروق (وعى) والمقرون : (هوى - عوى) أليس - يا سدد الله خطاك - فيها حركات طوال ، وهذا حسب نظر الباده أصول ، أو حروف أصلية هيه ؟ كلا وألف كلا.

(١) راجع دستور اللغة العربية (الحلقة الثالثة) ص٤٢٨.

يقول لك دستور اللغة العربية - يا فصيح السؤال - كل حركة طويلة في الأجوف والناقص واللفيفين ، وكذا في الأسماء (المقصور - المنقوص) كل هذه الحركات التي يتصورها الباده الواهل من الأصول ، كلها كلها قد جاء من صوتي اللين ، الواو والياء ، الدليل الدليل يا كاتب السطور ؟.

انظر يا صاح مغفورا لك ، الأفعال المعتلة أي ما كان أحد أصولها واوا أو ياء ينقسم إلى عدة أقسام :

١ - المثال : أي مثال الصحيح لأنه مثال الصحيح وعلى نسقه ، هذا المثال يبدأ بواو أو ياء لينة فقط ؟ فقط ؟ مثل : (وقف - وعد) هذا من الواوي ، ومن اليائي (يفع - بفتح الفاء - ييقع) ومثل : (يسُر - بضم السين - ييسُر) فأين ما بدأ بألف مد ، أو واو مد ، أو ياء مد ؟ لا يوجد ، لماذا لأن الكلمة العربية لا تبدأ البتة بحركة ، لا طويلة ولا قصيرة ، هذا من دستور العربية ، ولذا من الخطأ الخطل أن نعرف المثال بأنه ما بدأ بحرف علة ، لأن هذا يشمل حسب عرف علماء العربية القدماء - وربما بعض المحدثين - ألف المد ، وياء المد ، وواو المد ، وهذا غير موجود في بدء الكلمة العربية مطلقا.
إذن فالمثال ، وإن وضع مع الأفعال المعتلة ، إلا أنه يجب أن يعرف - وهو كذلك بالفعل - بأنه يبدأ بالواو والياء اللينين فقط y - w .

٢ - وفي الأفعال الجوف يا صاحب القلم الحصيف ، هل نجد في أصولها ، وهي العين على وجه التخصيص والتحديد حركات طوال ؟ نعم ، نعم ، نعم ، ولكن - آه من ولكن - الأمثلة أولا ؟

- ضاع يضيع ويضيع ← واو مد ، أو ياء مد ، أي كسرة طويلة.
- باع يبيع.
- قيل ← مبني للمجهول.

نعم ، ولكن كل الحركات هنا أصلها واو أو ياء ، أي في مرحلة تاريخية سابقة ثم تحولت الواو أو الياء إلى الحركة الطويلة ، بدليل وجودها في الصيغ الأخرى لنفس مادة الكلمة وأصولها.

- فمن ضاع ، يضيع (ضيعة) قرية.
- ومن ضاع يضوع (تضوع) انتشر.
- ومن باع (بيع) مصدر (بياع) صيغة مبالغة.
- من قيل (قول) مصدر ، وقوال : مبالغة في القول ، (أقوال) جمع.
- ومن (صيغ) صوغ مصدر، أو صياغة.
- ومن صاغ يصوغ (الصواغ) الصياغ.

٣- وكذا الحال والشان في الناقص واللفيفين ، الأمثلة ؟ الأمثلة ؟ :

- سما يسمو ، الحركة الطويلة في كلا الفعلين أصلها واو لينة بدليل أننا نجدها عند الإسناد إلى ألف الاثنين ، فنقول (سما ← سموا - يسمو ← يسموان) بالواو اللينة في كليهما.
- قضى يقضي : الحركة الطويلة ألف المد أو ياء المد ، الأصل فيهما ياء لينة ، فنقول في الإسناد لألف الاثنين (قضى ← قضيا - يقضي ← يقضيان) وفي يرضى - بكسر الضاد - يرضيان ، وفي يرضى بفتح ياء المضارعة يرضيان ، وهكذا.

وفي اللفيف المقرون :

- هوى يهوى ← هويا ، يهويان.

وفي نظيره المفروق :

- وعى يعي ← وعيا ، يعيان.
- وقى يقي ← وقيا ، لم يقيا.

هذا عن الأفعال - يا رعاك الله - فماذا عن الأسماء ؟ :

لا نجد في الأسماء كما في الأفعال ما يبدأ بحركة طويلة ، ولا قصيرة ، فإن هذا ما لا يجوزُ في النظام المقطعي العربي ، بل هذا قاسم مشترك في الكلمة العربية حتى في الحروف ، كما سيأتي :

١- ومن ثم هل يمكن أن يكون فاء الاسم حركة طويلة أو قصيرة ؟ كلا بكل توكيد ، ولكن - كما في الفعل المثال - يبدأ الاسم أيضا بواو أو ياء لينتين ، مثل : (وقف ← بسكون القاف - يسر ← بفتح الياء) كما نجد في الفعل المثال ، أي مثال الصحيح (يقع ييْفع).

وعليه فإن فاء الكلمة في الأسماء لا تكون حركة مطلقا ، ولو كان العنصر الأول في الاسم زائدا غير أصلي فإنه أيضا لا يكون حركة لا طويلة ، ولا قصيرة ، واو لينة أو ياء ممكن.

٢- وسط الاسم ، أو عين الاسم هل تكون حركة طويلة ؟ نعم ، نحو (صوف - فول فيل - ريف) نعم هي حركة طويلة ، ضمة طويلة وكسرة طويلة ، بل وفتحة طويلة (ألف مد) مثل : (مال - شاه).

والدليل أن هذه الحركات الطويلة (حروف المد) تتحول إلى واو لينة أو ياء في باقي اشتقاقات الاسم :

- صوف والجمع أصواف ، وبائع الصوف يقال له ← (صواف).
- فول ← والفوال بائع الفول.
- فيل ← أفيال وفيّال.
- ريف ← أرياف.

٣- لام الأسماء - يا فصيح القلم - هل يكون حركة طويلة ؟ نعم ، وقد تكون الحركة الطويلة لاما للكلمة ، وربما تكون زائدة ، علماء العربية فصلوا المسألة هنا تتقسم الأسماء إلى :

١- الممدود : آخره همزة قبلها ألف مد ، مثل (صحراء - سماء) بطبيعة الحال هذه الهمزة زائدة ، يرى الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - أن الهمزة جيء بها - يا رعاك الله - لإغلاق المقطع ، والأصل : (صحرا - سما) بدون همزة، أستاذنا الدكتور رمضان عبد التواب - رحمه الله - يرى أن بعض القبائل كانت تحب الهمز ، فتحشر الهمزة في كل كلمة ، مثل (زكريا ← زكرياء - جبريل ← جبرائيل) وبعض القبائل لا تحب الهمز ، فتحاول تجريد الكلمة من الهمز (جبرائيل - زكرياء ← جبريل - زكريا) بعض القبائل لا تحب ولا تكره ، ولا تأبه للهمزة ، جاءت حضرت أو غابت غارت ، وهكذا.

على أي الأحوال فإن الأصل في مثل (صحراء - سماء) هو (صحرا - سما) هذي الألف المدية هي في الأصل صوت لين ، ففي المثنى والجمع : (صحراوان أو صحراوين وصحراوات) وفي سما ← سماوان وسماوين ، وسماوات ، كما في السموات المفتوحة.

٢- فإذا غابت الهمزة ، وانتهى الاسم بألف مد (فتحة طويلة) سمي المقصور ، عكس الممدود لغياب المد ، الذي غاب بسبب غياب الهمزة ، هذا الصوت يجعل الحركة الطويلة قبله ، ومنها ألف المد زائدة المد ، زائدة في الزمن أو ممدودة:

- مثال المقصور (كبرى - سلمى - القصوى) ألف المد هذه إن كتبت ياء فأصلها ياء ، هذه قاعدة في الأفعال والأسماء ، على السواء ، على السواء.
- يرضى : أصلها يرضيُ.

- قضى : أصلها قضيَ.
كما سبق.

كذلكم في الأسماء ، ففي المثنى والجمع (كبرى ← كبريان أو كبريين ، وفي الجمع كبريات ، كما تقول كبريات الصحف ، وفي القصوى ← القصويان أو القصويين ، وفي الجمع القصويات.

٣- المنقوص : ما كان في آخره ياء لازمة ، أي ملازمة ، وكان الاسم معربا، كيف يا عزيزاه ؟ (الممدود والمقصور والمنقوص) كلها كلها لا تكون إلا في الأسماء المعربة غير المبنية.

فالمنقوص ينتهي بياء مد ، أو لامه ياء مد، وهي في الأصل ياء لينة ، مثل :
- الداعي : هي من (د ع ى) عند النصب : رأيت الداعيَ إلى الحق ، في المثنى والجمع : الداعيان ، الداعيين ، وفي الجمع : الداعيات.
- شادي / شادٍ : شاديان ، شاديين ، شاديات.

فياء المد هي في الأصل ياء لينة صحيحة ، ولعل هذا كان في مرحلة تاريخية سابقة.

تذكر أن الناقص خاص ومختص في الأفعال ، لا الأسماء ، في الأسماء نقول (المنقوص) فهل يوجد ما يفرق بينهما ؟ نعم ، نعم ، كيف ؟ الاسم المنقوص ما كان آخره ياء لازمة ملازمة للاسم ، هيَ في معظم الأحيان ياء مد (حرف مد) كسرة طويلة ، هي في الأصل ياء لينة ، كما كان أصلها.

تذكر أن المنقوص ما كان آخره ياء لازمة ، فأين - يا سيدي - ماآخره ألف مد؟ سبق أن هذا يسمى الاسم المقصور (كبرى - صغرى) فهل في الأسماء ما آخره واو مد ؟ كلا ، ولذا لم يك له تسمية لغيابه.

هذا عن الأسماء ، ما كان آخره ألف مد سمي بالمقصور ، وما كان آخره ياء مد سمي بالمنقوص ، ما كان آخره واو مد سمي بـ ؟ لا شيء، لأنه ببساطة غير موجود البتة.

لكن في الأفعال - يا سيد السادات - ما انتهى بواو أو ياء أو ألف مد سواء أكانت الواو والياء لينتين، أو مديتين (حركات طوال) هذا هو الناقص ، ليس المنقوص الخاص بالأسماء.

إذن وسم ما كان آخره (واى) من الأفعال بالناقص ، كما وسم ما كان آخره ياء لازمة من الأسماء بالمنقوص ، كلاهما فيه نقص ، فما هذا النقص يرحمك الله ويرعاك ؟.

انظر كلمة (الداعي) بياء مد ، هذه الياء في الأصل هي ياء لينة مكسور ما قبلها ومضموم ما بعدها ، ثلاثة عناصر هي :

- الكسرة ما قبل الياء = حركة قصيرة.
- الياء اللينة نفسها (نصف صامت) أو (نصف حركة).
- الضمة بعد الياء = حركة قصيرة.

ثلاثة عناصر (حركة قصيرة + صوت لين الياء + حركة قصيرة) تتحول كلها إلى عنصر واحد ، هو الياء المدية ، الكسرة الطويلة ، هذا نقص لها أو إنقاص ، وفي الأفعال ، انظر :

- يرمي ← بياء مد في الأصل يرميُ ، بكسر الميم وضم الياء ، عندما تتحول هذه الثلاثة إلى عنصر واحد هو ياء مدية (كسرة طويلة) هذا نقص للكلمة ، وهذان مثالان ، واحد من الأسماء وواحد من الأفعال :

- kubra: كانت في الأصل kubrayu ، لاحظ العناصر الثلاثة /ayu/ تحولت إلى عنصر واحد فقط ، هو / a: / ألف مد ، هذا هو النقص.
- بادي :badi هي في الأصل badiyu تحولت العناصر الثلاثة /ayu/ إلى عنصر واحد ، هو ياء مد / i: / وهكذا في كل الأمثلة.

ثالثا ـ تحدثت عن الأفعال والأسماء ، فماذا عن الحروف ، الحروف لا دخل لها من بعيد أو قريب بالاشتقاق ، لكن يلاحظ عليها ما يلي :

١ـ لا يبدأ الحرف البتة بحركة ، لا طويلة ولا قصيرة ، هذه قاعدة كلية ضمن دستور العربية، لا بدء في كلمة (اسما فعلا حرفا) وفي مقطع عربي بحركة ، لا قصيرة ولا طويلة.

لكن الحرف ينتهي بحركة طويلة (يا ـ ما ـ في) أو قصيرة مثل (حروف المضارعة : تنتهي بضمة مع الرباعي مثل (قاتل ← يقاتل ـ قلقل ← يقلقل) ومع المضارع المبني للمجهول (يُلقى ـ يُستخرج) وتكون مفتوحة مع غير الرباعي إذا كان مبنيا للمعلوم (يكتب ـ يستقبل) بفتح الياء في الفعلين.

كما يكون بناء الحرف على الكسر مثل لام الجر وبائه ، نحو (لله الأمر ـ بسم الله).

ويمكن أن ينتهي الحرف بصامت (منْ ـ عنْ) وفي هذه الحالة يبنى على السكون ، فكل الحروف مبنية ، كما كان أستاذنا في دار العلوم يحفظنا دوما :

قاعدة كلية

الحروف كلها

مبنية

جدير بالذكر أن الحرف يمكن أن يكون عنصرا واحدا فقط ، مثل تاء التأنيث (كتبتْ - سعدت) أو نون التنوين ، كما في (كتابٌ kita : bun) أو نون التوكيد الخفيفة ، مثل (لنسفعنْ) بسكون النون الأخيرة.

وقد يكون العنصر الوحيد حركة طويلة ، واوا أو ياء أو ألف مد ، كما في حركات الإعراب في المثنى والجمع والأسماء الخمسة ، مثل :

- هذان كتابان اثنان.
- المؤمنون صائمون في رمضان.
- إن المؤمنين صائمون.
- هذا أبوها.

ورأيت أباها

وسلمت على أبيها

فعلامات الإعراب الثلاثة : (الفتحة الطويلة والضمة الطويلة والكسرة الطويلة) هي حروف مكونة من عنصر واحد ، هو الحركة الطويلة ، أو هو حركة طويلة ، عنصر واحد ، ليس إلا.

صفوة القول أن الحرف لا يبدأ بحركة ، لا طويلة ، ولا قصيرة ، فهذا جزء من دستور العربية ، لا تبدأ كلمة ولا مقطع أيضا بحركة قصيرة ولا طويلة ، كما أن جميع الحروف مبنية :

قاعدة كلية

الحروف كلها مبنية

كما أن الحرف يمكن أن يتكون من عنصر واحد ، صامتا أو حركة ، وهو ما لا نجده في الأفعال ولا في الأسماء المعربة ، ولكن هذا وارد في الأسماء المبنية كما في ألف الاثنين ، واو الجماعة ، ياء المخاطبة ، كما في (شربا - شربوا - اشربي) أما الأسماء المعربة فلا يوجد شيء منها يأتي على عنصر واحد.

رابعا ــ الأسماء المعربة لا تنتهي بواو مد : قلت الأسماء المعربة ، فهل الأسماء المبنية تنتهي بواو مد ، أو يمكن أن تنتهي بواو مد ؟ نعم ، وهذه هي الأمثلة :

- هو ، عند الوقف عليها ، كما في قوله تعالى على لسان بلقيس (كأنه هو) كلمة (هو) تنطق بهاء ثم ضمة طويلة (واو مد).
- كلمة (همْ) يمكن أن تنطق بسكون الميم ، أو بضمها ضمة قصيرة أو ضمة طويلة ، كما في الشعر مثلا ، وفي بعض القراءات القرآنية.

فما قولك - يا مسطر السطور - في مثل : (أبو حسن - أبو موسى) ألا ينتهي بواو مد ؟ كلا ، هذه الواو المدية هي عنصر مستقل بذاته ، حرف مبني وهو علامة إعراب الكلمة في الرفع فقط ، ففي النصب : (رأيت أبا حسن) وفي الجر (سلمت على أبي حسن) وكذا واو الإعراب في الجمع المذكر إذا أضيف فحذفت نونه (مهندسو المشروع) الواو علامة رفع ، وهي جزء مستقل عن الاسم ، وإن كان علامة إعرابه أو علامة رفعه.

جدير ذكره أن الاسم المبني يمكن أن يأتي على عنصر واحد ، كما في الحروف صامتا أو حركة ، فمن الأسماء المبنية من حركة واحدة :

- واو الجماعة (كتبوا - يكتبون - اكتبوا).
- ألف الاثنين (كتبا - يكتبان - اكتبا).
- ياء المخاطبة (اكتبي - تكتبين) ولا تلحق ياء المخاطبة الماضي.

ومن الصوامت ، كما في :

- اكتبن - يكتبن.

نون النسوة اسم مبني في محل رفع هنا ، وهو مكون من عنصر واحد ، هو الصامت النون ، ألف الاثنين واو الجماعة ياء المخاطبة هي أسماء مبنية ، حقها محفوظ في محل من الإعراب ، هي كلها مكونة من عنصر واحد ، هو الحركة الطويلة ، والفارق بين الحرف المبني والاسم المبني أن الأخير مبني وله محل من الإعراب ، على عكس الحروف هي مبنية دون الحق في محل من الإعراب.

لكن - يا طيب الذكر - عندي أمثلة أخرى ؟ هاتها من يد الرضا ولسان الصدق هذه هي :

- سمبو.
- سمندو.

هي أسماء أعجمية بلا جدال ، كما في طوكيو عاصمة اليابان ، تنتهي بواو ومد ، صح وصحيح ، وحق وحقيق ، هي أيضا ليست عربية ، ولذا يمكن أن ينطقها بعض العرب بواو لينة ساكنة في آخرها ، هكذا (طوكيوْ).

فما تقول في نطق بعض النيجيريين :

- محمدو.
- عليو.
- أحمدو.
- شيخو.

هو نطق غير عربي، فلا يعتد به.

ولكن في دمياط العامرة أسماء عائلات أو أفراد ، مثل :

- مايلو.
- قتيلو.
- صابونو.

كلها بواو مد ، لعل هذا تأثرا بنطق إفريقي ، جاء مع عناصر وفدت من القارة السوداء ، ولا ننسى أن دمياط نفسها تقع في القارة الإفريقية ، وإن على الطرف الشرقي الشمالي منها ، وفي البداية والنهاية هو نطق عامي ، لا يعتد به في الفصحى.

وفي دمياط أيضا أعلام مثل (نحمدو) بواو مد ، وفي محافظة سوهاج مثلا ، مثال آخر (عطيتو) وأتصور الواو المدية في كلا المثالين تطور عن هاء الضمير في الفصحى ، إذ الأصل في الاسمين : (نحمده - عطيته) أي أعطيته ، ولكن الهمزة حذفت.

هذا التطور للهاء هو من خصائص العامية المصرية التي حولت هاء الضمير وضمتها إلى واو مد ، وهكذا.

لكن بقي عندي اعتراض ، ما هو يرحمك الله ؟ ما سمي به الفعل ، كيف ؟ إذاكان أصل الاسم فعلا جاز أن ينتهي بواو مد ، مثل : (يعلو - يسمو) ؟ لقد جاء على أصله أو محترما أصله ، فبقيت واوه ، كما هي ، أو كما هيه ، ولكن أمن قلة الأسماء والأعلام نلجأ إلى المضارع المنتهي بواو مد ؟ فتأمل.

على أي الأحوال فقد ترتب على عدم جواز انتهاء الأسماء المعربة بواو مد إلى بعض الإجراءات ، مثل ماذا يا فصيح ؟ مثل :

١- لما عربوا كلمة (خسرو) الفارسية حولوها من واوية الآخر إلى يائية بسبب هذا الحظر ، فعربوها بزنة (فِعْلى) بفاء مكسورة وعين ساكنة ، فكانت كما هو المشهور (كِسْرى) بزنة (فِعْلى) كما ذكر.

٢- في الترخيم - وما أدراك ما الترخيم - إذا انتهى الاسم المرخم بواو مد ، بعد ترخيمه ، تحولت واو المد إلى ياء مد ، مثل ماذا - يا فيلسوف القلم واللسان - مثل :

- منصور : إذا حذفت الواو ترخيما ، هل تصبح (يا منصو) ؟ كلا ، بل تتحول هذه الواو المدية إلى ياء ، أي : (يا منصي).
- ثمود : إذا رخمت ، فحذفت الدال ، تتحول (يا ثمو) إلى (يا ثمي).

يا إلهي !! كم هي دقيقة لغتنا العربية ، إن نظرها حاد ، لقد لمحت كل الحالات التي ينتهي فيها الاسم المعرب بضمة طويلة ، فحولت هذي الضمة إلى كسرة طويلة (ياء مد) ولله في لغتنا العربية شئون وشئون.

٣- هل هناك غير ما سبق من الأسماء المعربة التي ضمت واو مد ، ولكن العربية بنظرها الحاد الحديد لمحتها ، فعالجتها ، لم تنسها ، حولت واوها المدية إلى ياء مد ؟ نعم سيدي ، وهذي هي أمثلة :

- دلو تجمع على (أدلو) حسب قواعد الإعلال في الصرف العربي ، ولكن بسبب هذا الحظر ، فقد تحولت الضمة الطويلة إلى كسرة طويلة ، فتحولت (أدلُو) إلى (أدلى) في جمعها المكسر.
- جرو كذلك تجمع مكسرة على (أجرو) بواو مدية ، لكن بسبب هذا الحظر تحولت مثل الأولى إلى (أجرى) بياء مد.

مع الإشارة إلى أن الأسماء المعربة تنتهي حتما قولا واحد بواو لينة ، مثل (جرو - دلو - عدو) بسكون الدال.

المضارع كذلك ينتهي بواو مد (يدعو - يرجو) وفي الماضي على العكس تجد أمثلة قليلة بواو لينة ، ولعل هذا بقايا أفعال لم تتحول واوها إلى ألف ، كما في : (دعو - سمو) ← دعا - سما.

فمن هذه الأفعال التي بقيت بواوها اللينة تمثل مرحلة تاريخية سابقة الأفعال : (بهو - نهو) بواو لينة مفتوحة في آخر الفعلين.

بقى شيء أخير فيما يتعلق بنظام الكلمة العربية خاصة فيما يتعلق بالتعامل مع (واي) إنه :

خامسا ـ الرباعي المجرد إذا بدأ بواو لينة ، أي فاء الكلمة ، فإنها لابد أن تتكرر ، في المصدر وفي الفعل :

- وشوش ← وشوشة.
- وصوص ← وصوصة

وعندنا في اللهجة المصرية شيء كهذا ، ولكن الواو عين للفعل ، تتكرر في لام الفعل الثانية ، مثل :

- صوصو ← صوت الكتكوت الصغير.
- هوهو ← صوت الكلب.
- نونو ← صوت القط.

وعليه فإنا نستطيع القول تلخيصا لما سبق من شرح المادة الحادية والثلاثين من دستور اللغة العربية بما يلي :

١- الحروف الأصلية في الأفعال ثلاثة أو أربعة ، ولا تزيد في أصولها عن هذا ، يزاد على الثلاثي حرف أو حرفان أو ثلاثة على الأكثر ، ويزاد على الرباعي حرف أو اثنان فقط ، ولا يزاد عن هذا.

أما الأسماء المجردة فهي ثلاثية ورباعية وخماسية ، يزاد على الخماسي حرف واحد ، أو عنصر واحد ، هو حركة طويلة فقط ، مثل (سلسبيل) فالزيادة هنا هي ياء المد قبل اللام الأخيرة.

الرباعي يزاد عليه حرف أو اثنان ، الثلاثي يزاد عليه حرف أو اثنان أو ثلاثة ، كما في الأسماء.

٢- الأصول في كل من الأفعال والأسماء لابد أن تكون من الصوامت ، أو من أصوات اللين على الأقل ، وعليه فإذا جاء في الأصل حركة طويلة ، فإن هذه الحركة هي تطور عن الواو أو الياء ، مثل :

- دعا ← الألف المدية في الأصل واو لينة (دعو).
- يدعو ← الواو المدية هي في الأصل واو لينة.

وفي الأسماء كذلك :

- فيل ← الحركة الطويلة في الأصل ياء لينة بدليل (فيال - أفيال).
- فول ← الحركة الطويلة في الأصل واو لينة بدليل (فوال) بائع الفول.

وفي الأسماء المنتهية بحركة طويلة هي في الأصل واو أو ياء ، خاصة ما كانت أصلية :

- كبرى ← الفتحة الطويلة أصلها ياء لينة ، مع الإشارة إلى أن الألف المدية زائدة ، إذ هي علامة تأنيث.
- سماء ← أصل ألف المد واو لينة ، بدليل الجمع على (سماوات).
- الداعي ← ياء المد أصلها ياء لينة بدليل المثنى (الداعيان).

فأين ما آخره واو مد من الأسماء ؟ لا يوجد ما آخره واو مد في الأسماء المعربة في النطق العربي ، يا إلهي ، فهل يترتب على هذا الحظر شيء ؟ نعم ، نعم:

أ - عند تعريب (خسرو) مثلا عربت إلى (كسرى) بألف مد بدل الواو المدية.

ب- في الترخيم إذا كانت وقف المرخم على واو مد تحولت إلى ياء مد ، مثل :

- منصور : يا منصو ، ثم تتحول إلى يا منصي بالياء.
- ثمود : يا ثمو ← يا ثمي بالياء المدية بدل الواو.

جـ - جمع دلو - جرو ← أدلو - أجرو ، ولكن بسبب هذا الحظر يتحول الجمعان إلى (أدلى - أجرى).

٣- إذا بدأ الرباعي المجرد بواو لينة ، ولابد أن تكون لينة ، فلا بد تتكرر هذه الواو ، مثل :

- وصوص ← وصوصة.
- وحوح ← وحوحة.

وفي العامية لمصرية :

- صوصو ← صوصوة.
- هوهو ← هوهوة.

قلت هذا قبلا ؟ نعم ، ولكن في التلخيص والإعادة إفادة .

٤- وأخير لقد تأكد لدينا بشكل نهائي أن الكلمة العربية - وكذا المقطع - لا تبدأ البتة إلا بصامت ، أو صوت لين على الأقل ، في حين تأتي الحركة الطويلة وسط الكلمة العربية وفي آخرها فقط فقط.

نعم اللغة العربية لغة اشتقاق ، يغلب عليها الاشتقاق ، مع وجود اللصق أيضا وإن بشكل أقل ، لكن هذا الاشتقاق له نظامه ، خاصة في الأفعال والأسماء ، وهذا ما تعهدت به هذه المادة الحادية والثلاثون ، لقد فصلت هذا النظام خاصة في التعامل مع أصول الكلمة التي لابد أن تكون من الصوامت أو من أصوات اللين على الأقل.

كما تعرضت شروح المادة إلى المحظورات في نظام اشتقاق الكلمة العربية ، من غياب واو المد نهاية الأسماء المعربة إلى الواو اللينة في الرباعي إذا جاءت فاء للكلمة ووجوب تكرارها ، كما في (وسوس) الخ.

المادة الثانية والثلاثون

{٣٢}

اللغة العربية نظام محكم الإغلاق ، تمام الإحكام ، يقاوم استعارة الكلمات من اللغات الأخر.

هذه العبارة ، أو هذه المادة ، أو هذه الصياغة مقتبسة من كلام المستشرق هيوم حوراني الذي قدم أعظم إطراء وأعظم كلام في اللغة العربية أو باللغة العربية.

إنك لتجد من فرسان العربية من ينكر البتة تسرب أية كلمة غير عربية إلى لغتنا ، خاصة في القرآن الكريم الذي يستميت أناس في نفي أية كلمة من أصل غير عربي في كتاب الله تعالى.

ومن قبل أن تتسرب الكلمة العجمية إلى العربية وضع علماء العربية معايير للكلمة العربية الخالصة للتفريق بينها وبين بعض الكليمات غير العربية التي تشربتها لغتنا ، ومن المنطقي أنا لا نسطيع نحصي كل علماء العربية الذين وضعوا هذه المعايير لعروبة الكلمة أو عجمتها ، إنما نقتصر على بعض أمثلة من القدماء والمحدثين ، فمن القدماء مثلا :

الإمام السيوطي[١] : وضع بعض المعايير لعجمة الكلمة أو عروبتها ، منها :

١- ليس في العربية كلمة تبدأ بالنون والراء مثل : (نرجس - نرد).

---

(١) المزهر ١ / ٢٠٧.

٢- ليس في العربية باء مهموسة ، مثل : passport ، ولذا فأية كلمة فيها هذه الباء المهموسة هي غير عربية.

٣- لا تتجاور الدال والزاي المجهورتان ، فإن تجاورتا تحولت الزاي إلى النظير المهموس للزاي ، أي السين ، مهندزحين تعرب تصبح : (مهندس) وإن كان العامة من العرب رجعوا إلى نطقها الفارسي ، فأصبحوا يقولون : مهندز ، وليس مهندس ، كما في الفصحى ، وفي نطق المثقفين.

٤- اجتماع الصاد والجيم ، أو تجاورهما ، مثل :

- صولجان.
- جص.

٥- اجتماع الجيم والقاف ، مثل : منجنيق [1].

وأضاف السيوطي شرطا أو معيارا جديرا بالاعتبار ، هو وجود الاسم وحده أو الفعل وحده ، دون باقي تصاريف الكلمة ، فإن وجدت هذه التصاريف كانت الكلمة عربية.

فالكلمات السابقات (صولجان - جص - مهندس - منجنيق ... الخ) كلها جاءت في صيغة الأسماء ، دون الأفعال بأنواعها الثلاثة ، الماضي والمضارع والأمر.

ومن طريف ما يحكى ويقال إن بعض الباحثين قد يرى أن هذي الكليمات غير عربية ، استعارتها العربية من لغة كذا ، أو كذا ، ويرد عليه آخرون أو آخر ، لا كلا ليس كلمة معربة ، إنما هي من المشترك السامي ، أو من اللغات السامية.

---

(١) السابق.

مثال : قال بروكلمان إن أمثال : (شيطان - [1] سكين - سارية) هي من أصل آرامي ، جاء من يقول : (كلا ، هي من المشترك السامي) ونحن قبل ذلك وبعد ذلك رفضنا نظرية اللغات السامية ، قلنا هي اللغات العروبية، أي كل هذي اللغات التي يدعى أنها سامية هي لهجات تفرعت عن العربية ، ومن ثم فإن تعبير المشترك السامي يفيد أن هذي المجموعة من اللغات التي وسمت زورا ووصفت ظلما بأنها سامية ، هي في أصلها وأساسها تنتمي إلى العربية ، هي لهجات عربية ، وإن أريد لها أن توسم بأنها لغات ، أو هي لهجات عربية ، تحولت في أزمان لواحق إلى لغيات [2].

ومن أظهر الأدلة على ما سبق أن اللغة الحبشية القديمة والحديثة هما في الأصل لهجة يمنية قديمة ، تحولت إلى لغة مستقلة بفعل امتزاجها بعناصر إفريقية محلية ، ومع هذا تجد من يقول عن هذي الكلمة العربية أو تلك بأنها مقترضة من الحبشية التي هي في الأصل لهجة عربية ، جاءت من اليمن السعيد.

خذ مثلا كلمة (قسورة) إذا قلنا إن العربية أخذتها من الحبشية ، قلت هذه الحبشية نفسها متفرعة عن العربية ، إحدى لهجات العربية التي تحولت إلى لغة مستقلة.

والآن مع أحد المحدثين الذي يرسم خارطة طريق لعروبة الكلمة وعجمتها ، إنه العلامة : عباس محمود العقاد : فماذا يقول ؟ في كتابه الرائع ، طيب الذكر وذائع الصيت (اللغة الشاعرة) يرسم ملامح العروبة والعجمة في الكلمات ، فيقول :

---

(١) وافي : فقه اللغة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص١٢٣.
(٢) مفرد (لغية) تصغير (لغة).

فإذا التبس علينا أمر كلمة من الكلمات ، فلم نعلم في ظاهر الأمر أهي من ألفاظ العرب الأصلية أم من الدخيل عليها ، فلدينا هذا المقياس الحاضر، نقيس به دلالة الكلمة ونردها إلى حياة العرب وإلى المعهود من تعبيرها عن معالم تلك الحياة فلا يطول بنا العناء في الرجوع بها إلى أصل معقول نطمئن إليه.

قيل - مثلا - إن كلمة "القلم" مأخوذة من "كلموس" اليونانية ، ولا يعزى الاستناد في هذا القول إلى مرجع من مراجع التاريخ المحقق غير مجرد الظن القائم على التشابه في مخارج اللفظين ، وهو لا يدل على السابق إلى وضع الكلمة من اللغتين.

ولكننا نستطيع أن نرد الكلمة إلى القلم أو التقليم من القلامة في اللغة العربية فنرى أنها أصيلة في هذه اللغة بهذا المعنى ، ونتقصى المادة فنعلم أنها لا تنقل بجملتها من لغة إلى لغة.

فمادة القاف والميم وما يتوسطهما مطردة في الدلالة على الشق والقطع ، ومنها قحم وقرم وقسم وقصم وقضم وقطم وقلم ، وهي آخرها في ترتيب الأبجدية.

ونعود إلى الشيء الذي "يقلم" فنعلم أن القناة والقصبة والريشة مما يقلمه العرب ، ويتخذون منه القلامات ، فيحق لنا أن نفهم أننا بصدد هذه الكلمة أمام لفظ أصيل في لغة العرب ، لا ينقلونه من لفظ آخر في لغة أجنبية.

يقول العقاد : وأذكر أن طبيبا فاضلا لقيني في الإسكندرية فأخذ عليّ بعض ما كتبت يومئذ عن القانون : إن كلمة "القانون" دخيلة في العربية ، وأن "الشريعة" أحق منها بالاستعمال في كتابنا ما دامت نظائرها ميسورة لدينا.

قلت للطبيب الفاضل : إن الكلمة من بضاعتنا التي ردت إلينا ، وإن القانون اليونانية ليس هي إلا القناة بصيغة التصغير عندهم : لأن الغالب في لغتهم على معنى القانون أنه مستعار من القصبة التي توضح بها الحدود وتقاس بها المواقع ، وهم يطلقون في اللغات الغربية كلمة رولر ruler على المسطرة التي ترسم الخطوط والحدود وعلى الحاكم الذي يقيم الأحكام ، ونحن في الشرق [1] نستخدم القصبة للقياس والفصل بين المواقع ، وتسمى عاصمة الحكم "قصبة" في بعض اللهجات.

فالقانون canon تصغير للقناة canal لأن القناة الصغيرة هي التي تستخدم عندهم استخدام المسطرة لوضع الحدود والفصل بين الرسوم ، وإذا رجعنا إلى القناة أمكن أن نقول إن القانون هو "قناتنا" قد رجعت إلينا بعد أن صيغت عندهم في صيغة التصغير ، ولسنا نجزم بأن كلمة canal مأخوذة من العربية بغير خلاف ، ولكننا نجزم بأن "القناة" كلمة لم يأخذها العرب من اليونان : لأن الأقنية من النخل ومن عيدان الشجر ومن مسايل الماء ومن أسنة الرماح أصول عريقة في حياة العرب، لا تستعار.

وإن من أنفع ما تنفعنا به هذه المقارنة أن نعول عليها حين تتشابه الكلمات في اللفظ والنطق ، أو تتقارب في المخارج بين لغتين ، أو لغات عدة ، فإن لم نستطع أن نعرف أيها السابق إلى وضع الكلمة فلعلنا مستطيعون أن نعرف أنها أصيلة أو مستعارة في لغتها بالمقابلة بين تعبيراتها وأحوال معيشتها.

وقد كان زميلنا العالم المجتهد الأستاذ عبد القادر المغربي ، يرى أن كلمة المرج في العربية مأخوذ من كلمة "المرغ" الفارسية ، فكان مما يشككنا في هذا أن

(١) أوكنا.

مادة "مرج" و"مرغ" و"مرت" في اللغة العربية متقاربة في مدلولها ، وأنها على صلة بالمرج وبالمرعى على قدم الحاجة إلى المرعى في بلاد العرب ، فإن لم نستطع أن نجزم باستعارة الفرس كلمتهم "المرغ" من العرب ففي وسعنا أن نجزم بأن العرب أصلاء في كلماتهم غير مستعيرين.

وهناك كلمات تتشابه في مخارجها بين أبعد اللغات : لأنها قد نشأت من الحكاية الصوتية التي تنقل الأصوات كما تقع في الآذان ، وقد نفهم من تكرر المادة في أمثال هذه الألفاظ أنها نشأت في اللغة ، ولم تنقل إليها بعد تداولها في لغة أخرى.

ففي الإنجليزية يدل لفظ "كت" على القطع كما يدل عليه لفظ "كسيه" باللغة الفرنسية ، والمشابهة بين اللفظين وبين "قط" بهذا المعنى في اللغة العربية ظاهرة للسماع ، ولكن القاف والطاء وما يثلثهما في لغتنا شائعة في الدلالة على القطع بأنواعه ، ومنها قطب وقطر وقطف وقطم ، ويلحق بهذه الملاحظة أن القاف والتاء والقاف والدال والقاف والصاد تؤدي معنى قريبا من هذا المعنى ، فلا وجه للقول بالاستعارة في أمثال هذه الألفاظ.

من الجائز أن يمتد القياس إلى أغراض أخرى في المقارنة بين الكلمات واللغات تحريا لأصولها ، أو للعلاقة بين معانيها ومعيشة أبنائها ، واللغة العربية في مقدمتها .. فإنه بحث يجمع بين أغراض التاريخ وأغراض البيان وأغراض الدراسات النفسية والاجتماعية ، ولا نحسب أن في اللغة العربية كلمة يطول الخلاف عليها مع الاحتكام بها - على هذا النحو - إلى أصولها ودواعيها من حياة الناطقين بالضاد ، وأولها كلمات الفصاحة والبلاغة والنحو والصرف والإعراب.

هذه وجهة نظر العقاد (ت ١٩٦٤ م) - رحمه الله - بسطها كاملة في كتابه الشهير (اللغة الشاعرة [١]).

وهكذا لا تبيح العربية بسهولة جواز المرور لأية كلمة إلا بمصافي وضوابط أحكمها العلماء العرب الذين وافقوا على مبدأ الدخيل والمعرب، في حين يصر كثير من فرسان العربية على عدم الاعتراف بأي لفظ غير عربي دَخل لغتنا.

هناك لغات أخرى كثيرة يمكن أن تدخل إليها ألفاظ أجنبية عنها ، يغرق طوفانها المعجم الأصيل لهذه اللغة ، مثل اللغة المالطية ، لقد دخلتها ألفاظ إيطالية - أولا - ثم إنجليزية مؤخرا ، حتى كادت تسبب الإغراق والفيضان على المعجم المالطي الأساس.

هذا لا يحدث في العربية ، كل كلمة أجنبية تدخل يجتهد العلماء في بديل عربي لها ، والذي نجح إلى حد كبير ، مثل :

- كمبيوتر ← الحاسوب.
- موبايل ← المحمول ، أو الجوال - النقال - الخليوي - السراق.
- أنسرنج ماشين ← المجيب.
- الماسنجر ← الساعي.
- الفاكس ← الناسخ.

والآن إلى المادة الثالثة والثلاثين من دستور لغتنا ، والخاص بعملية الصهر ، وما أدراك ما الصهر ؟ فما هيه ، وما هي ؟.

---

(١) ص٤٦ - ٤٨.

المادة الثالثة والثلاثون

{٣٣}

الكلمة العربية لها كيانها المستقل إذا كانت مفردة منفصلة ، فإذا انضمت إلى غيرها على هيئة جملة ونص تآلفت وتناسقت مع غيرها في نظام الصهر اللغوي بين الكلمات داخل الجمل.

في هذا الشرح لتيك المادة نعرف الصهر ، ثم نذكر أمثلة خاصة في اللغة العربية ، أو بشكل خاص في لغة بني يعرب ، فنقول :

أشارت دراسة قمنا بها إلى ظاهرة الصهر sandhi تلك الكلمة التي حيرتنا في البداية ، لكن سرعان ما دلنا على معناها معجم المصطلحات اللغوية للدكتور رمزي منير بعلبكي أستاذ اللغة في الجامعة الأمريكية في الحاضرة العربية بيروت ، فأغنى وأشفى وأفاد وأجاد ، ومن ثم يحسن بنا أن نقدم كليمة عن هذى الظاهرة ، فتقول :

نستفتح بالذي هو وأولى بالتقديم وأجدر بعدم التأخير ، وهو التأصيل المعجمي للكلمة ، فنميل إلى المعجم الوسيط ، نقتبس منه ما يلي : صَهَر الشيء بالنار ونحوها صهْرا أذابه (وفي التنزيل) : (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) [1] ، ويقال :

(١) ٢٠ الحج.

صهره الحر حمى عليه واشتد ، صَهَّر الخبز ونحوه أدمه بالصُّهارة وهي الشحم ، ويقال : صهر شعره وجسمه ، وصهر الشيء إليه قربه وأدناه ، فهو مصهور وصهير.

ويستمر الوسيط في حديثه : أصهر إليه دنا منه ، واصهر إلى القوم ، وبهم : تزوج منهم ، صاهر القوم وفيهم وإليهم أصهر ، اصطهر الشحم أذابه وأكله ، انصهر ذاب ، تصاهرا كان بينهما صِهْر ، الانصهار في الكيمياء تحول المادة بالحرارة من الحالة الصلبة إلى الحالة السائلة ، الصُّهارة : المنصهر والشحم ، الصَّهْر: في الكيمياء ، تحويل المادة بالحرارة من الصلابة إلى السيولة.

وقد يكون الانصهار بالزواج والنسب ، في الوسيط: الصِّهر : القريب بالزواج ، ويوصف به فيقال : هو صهري ، جمع أصهار ، والصِّهر المصاهرة ، في التنزيل : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً) [1]، الصَّهور شاوي اللحم ، ومذيب الشحم ، الجمع صُهُر ، والصَّهور المصهور ، والمَصْهَر مكان الصَّهْر ، جمع مصاهر .[2]

وهكذا انتهينا مما سبق إلى أن الصهر للمعادن ونحوها هو تحويلها بالنار أو غيرها إلى حالة سائلة يسهل تشكيلها بعد ذلك ، وصبها في القوالب والأحجام المطلوبة ، وقد انتقلت دلالة الكلمة من الكيمياء والمعادن إلى اللغة ، كيف ؟

إن المتحدث بالعربية أو غيرها يبدو كلامه وكأنه وحدة واحدة ، لا فواصل بينها ، هذا ما يوحيه السمع وأداته الأذن ، في حين إن الواقع غير هذا ، إن الكلام مكون من وحدات أصغرها الأصوات ، من صوامت وحركات وأنصافهما - الياء

---

(١) ٥٤ الفرقان.
(٢) المعجم الوسيط ٥٤٦/١.

والواو - ثم هذى الأصوات تكون المقاطع، وهذى الأخيرة تكون الوحدات الصرفية والنحوية ، ثم الكلمات ، تيك الأخيرة تكون الجمل ، ومن الجمل يتألف الكلام.

ففي قولنا : أكبرت كلام أستاذتي ، نجد أمامنا عدة أصوات بدءا من الهمزة والفتحة القصيرة بعدها وانتهاء بالتاء والياء المدية بعدها ، هذى الأصوات تكون مقاطع الجملة ، بداية من المقطع الأول أكْ (المكون من صامت) الهمزة (ثم الفتحة بعدها ، ثم الكاف التي تغلق المقطع ، وختما بالمقطع الأخير) تي المكون من صامت هو التاء وحركة هي المد بعدها.

ليس هذا فقط ، بل هذى الجملة مكونة من وحدات صرفية ، مثل همزة التعدية في (أكبر) التي حولت الفعل (كبر) اللازم ، إلى متعديه بالهمزة في أوله ، وهناك أيضا وحدات نحوية ، مثل تاء الفاعل للمتكلم في أكبرت ، وياء المتكلم في أساتذتي ، إضافة إلى الكلمات ، الفعل أكبر (والأسماء) كلام - أساتذة ، ثم (الضمائر) تاء الفاعل - ياء المتكلم .. الخ ، إذن هي مجموعة متشابكة من الوحدات مترابطة آخذ بعضها بذمام بعض ، هذه العملية الأخيرة هي ما يسمى بالصهر ، فكما أن المعادن تتحول من حال الصلابة والجمود إلى حال من السيولة والمرونة فإن الوحدات المكونة من أصوات ومقاطع ووحدات صرفية ونحوية وكلمات تنصهر كلها صهر المعدن ، وكأنها وحدة واحدة.

وهذى بعض ملامح الصَّهر في كلام العرب :

في الفصحى - ليست العامية - مميزان مهمان في عملية الصهر ، هما الإعراب والتنوين ، إذ هما حالتان من حالات الوصل - أو قل الصهر - وليس الوقف ، ففي هذا الأخير (الوقف) لا إعراب ولا تنوين البتة ، إن غيابهما حال الوقف إشعار بأن المتكلم

قد فرغ من كلامه ، ومنه انتهى ، في حين يأتي الإعراب والتنوين كلاهما من علائم الوصل وعدم انتهاء الكلام.

فإذا تجاوز المتكلم ظاهرتي الإعراب والتنوين فقد جانب الصهر في العربية الفصحى ، فإذا قلت : الكتابْ الجديدْ مهمّ للغاية (بتسكين الباء في الكلمة الأولى والدال في الثانية وعدم تنوين كلمة مهم) وغياب إعرابها ، فإن هذا مودي بصهر الجملة ، ويؤدي إلى تقطيع أوصالها ، وهكذا.

في العربية تنقسم أداة التعريف الـ إلى لام شمسية وأخرى قمرية ، الأولى تدغم في الصوامت التي بعدها ، والثانية لا تدغم ، الأولى مشبهة في إدغامها باللام في كلمة (الشمس) والثانية مشبهة في عدم الإدغام بما في كلمة (القمر).

الصوامت التي تدغم فيها اللام الشمسية هي ١٤صوتا صامتا : التاء - الثاء - الدال - الذال - الراء - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الطاء - الظاء - النون ، فضلا عن اللام ، وكل هذى الصوامت من مخرج اللام ، أو قريبة المخرج جدا من صوت اللام ، ولهذا كان الإدغام ، أو كانت الشمسية.

باقي الصوامت لا تدغم فيها اللام بسبب تباعد مخرجهن عن مخرج اللام ، وهذى الصوامت هن : الألف - الباء - الجيم - الحاء - الخاء - العين - الغين - الفاء - القاف - الكاف - الميم - الهاء ، إضافة إلى الياء والواو = ١٤ صوتا ، أي أن اللام تدغم في نصف صوامت العربية ، ولا تدغم في النصف الآخر ، هكذا : ١٤ + ١٤ = ٢٨ عدد صوامت العربية بما فيها الواو والياء اللينتان ، كما في : ولد يلد ، أو : ضيف - قوم (باقي / باق) من أصوات العربية الحركات فقط ، وهن في الفصحى ست

ثلاث قصار ، وأخر مثلهن طوال : الفتحة / الفتحة الطويلة - الكسرة / الكسرة الطويلة - الضمة / الضمة الطويلة.

وعليه فإن عدم إدغام اللام الشمسية فيما بعدها من الصوامت هو خرق لأحد قوانين الصهر في فصحى العرب ، فإذا قلنا (الشمس الساطعة في الصيف مفيدة) بإظهار اللام في الكلمات الثلاث المحلاة بـ الـ في الجملة ، دون إدغامها في الشين والسين والصاد فقد جاوزنا الصهر أو صهر وحدات الجملة في بعضها ، وهذا خطأ لغوي باده ظاهر البداهة.

مثال أخير نذكره من ملامح الصهر في فصحى العرب هو ألف الوصل ، تنطق في أول الكلام وتسقط في درجه ، أي في وسطه ، فإذا قطعت في الوصل - ليس الوقف - فقد جانبنا الصهر وتجاوزناه ، وبدا الكلام مفككا غير مترابط.

فإذا قلنا : (أيها ألولد إستمر وإنتبه إلى ألعمل) بدل : أيها الولد استمر وانتبه إلى العمل ، أي عاملنا ألفات الوصل في كلمات : الولد - استمر - انتبه - العمل معاملة ألفات القطع ، أو قطعناها عن الوصل ، فقد قطعنا أوصال الجملة ، وجانبنا صهر الجملة ، وجاوزناه وتخطيناه ، ولم نجعل له من الإعراب محلا ، لأن الفصحى تقضي بعدم نطق ألف الوصل في وسط الكلمة ، هو يظهر فقط في أول الكلام ، ليس في الوسط والدرج.

فإذا قطعت هذى المربوطة في الوصل فأصبحت هاء ليس تاء ، فقد جاوزت الصهر في العربية وخالفته ، فالصح الصحيح والحق الحقيق أن لا تنطق التاء

المربوطة هاء في مثل : الكليةْ الجامعيةْ المجاورةْ [1] صعبةْ ، فإن تم هذا فهو تقطيع لأوصال الجملة ، وهجر للصهر الصحيح لها ، وهو خطأ.

والعكس أيضا صحيح ، فإذا نطقنا بالتاء نهاية الجملة ـ ليس الهاء ـ فهذا أيضا مخالف لقواعد العربية في صهر الأصوات والمقاطع ، فالكلمة الأخيرة في الجملة السابقة (صعبة) مكونة من مقطعين في شكلها الصحيح / صَ عْ /بَ هـْ = / ص ح ص + ص ح ص ، لكنها في الشكل الخاطئ = ص ح ص + ص ح + ص ح ص ، أي : صعبة.

ومن سمات الصهر في لغتنا أن تاء التأنيث المربوطة تنطق تاء في درج الكلام وأوسطه ، لكنها عند الوقف تنطق هاء خالصة ، لاشية فيها ، ولذا كتبها العرب هاء ، وجاءوا من التاء المفتوحة (ت) بالنقطتين على هاتيك الهاء ، إشارة منهم إلى ازدواج نطقها ، ما بين التاء عند الوقف والهاء عند الوصل ، وهكذا ائتلف ـ اتفق ـ الرسم مع النطق ، وهكذا .

نكتفي بهذى الملامح الأربعة من ملامح الصهر اللغوي في فصحى بنى يعرب ونقدم الآن شرحا لتعريف الدكتور رمزي منير [2] البعلبكي لظاهرة الصهر اللغوي محاولين إيجاد أمثلة من لغتنا العربية :

يبدأ الرجل بتعريف هذه الظاهرة بقوله : تغيير صوتي يصيب الكلمة في موقع نحوي معين ، مثل will + not تصبحان في بعض اللهجات won't أي أن الأمر يتخطى الكتابة والرسم إلى النطق والوسم ، كما في المثال السابق.

---

(١) لم نكتب النقطتين إشارة إلى أن التاء في الكلمات الثلاث خاصة تنطق هاء في الوصل ، وهو خطأ صريح صراح.
(٢) ص ٤٣٦.

والصهر نوعان داخلي وخارجي ، داخل الكلمة ، وخارج الكلمة أو على حدودها وتخومها مثلما رأينا في الإعراب والتنوين ، وتحول التاء المربوطة في نهاية الكلمة إلى هاء ، كما سبق.

وفي داخل الكلمة : مثل الإقلاب ، أي قلب النون الساكنة قبل الباء إلى ميم ، مثل : الأنباء ـ أنبئهم (تنطقان بميمين بدل النونين ، هكذا) الأمبياء ـ أمبئهم ، وفي قراءة القرآن الكريم يحدث للميمين إخفاء شفوي لتصبحا ميمين مخفاتين غير ظاهرتين.

ويشتمل مبحث الصهر على المماثلة والمخالفة (فمن المماثلة في العربية ما نجد في ظاهرة الإدغام ، مثل إدغام النون في اللام والراء إدغاما كاملا ، بدون غنة ، أو إدغام النون في الميم مع الغنة (الأنفمية) والإدغام الناقص للنون في الواو والياء اللينين ، كما في :

- أنْ لا ← ألاّ
- منْ رَبهم ← من [1] رَّبهم.
- من ما ← مما

هذى كلها من ظواهر المماثلة ، ومن ظواهر المخالفة في العربية ما يلي :

١ ـ ألف المقصور في مثل (ربا ـ شطا) تتحول إلى واو ، ليس الياء ؟ متى وأين ؟ عند النسب ، حيث نقول (ربوى ـ شطوى) لأن هذى الألف لو تحولت إلى ياء لكان النطق صعبا ، إذ سوف تتوالى ثلاث ياءات ، الأولى الياء المنقلبة عن

(١) جعلنا النون خلوا من علامة السكون ووضعنا الشدة والفتحة ـ إشارة إلى فناء النون فناء تاما ـ وتشديد الراء ، كما نجد في رسم المصحف ، وعند الفك ـ عدم الإدغام ـ شكلنا النون بالسكون ، ووضعنا فتحة على الراء ، كما ترى.

الألف ، ثم ياء النسب المشددة ، والصامت المشدد هو في حقيقة أمره صامتان الأول والثاني ، أو كما كان أساتذتنا يكررون علينا في دروسهم : الحرف المشدد حرفان ، الأول ساكن ، والثاني متحرك ، ولذا لجأت لغتنا هذى المرة إلى المخالفة ، لا المماثلة.

إن هذا يشبه طريقة الإنسان في التعامل مع الألوان ، في ملبسه ومسكنه ، إنه مرة يميل إلى تماثل الألوان وتجانسها وتقاربها ، كما نجد - مثلا - أحد الرجال يلبس ربطة عنق وقميص منسجمان مع لون بدلته ، منه ومنها قريبان ، أو يفعل العكس يرتدي بدلة سوداء وقميص أبيض شديد البياض ، مع ربطة عنق حمراء فاقع لونها تفجأ الناظرين ، وهكذا ..

٢- ومن أمثلة المخالفة في العربية أن لغتنا تفرق بنظر حاد دقيق بين جمع المنقوص والمقصور ، فإذا كان المحذوف ألفا كانت واو الجمع ساكنة قبلها فتح ، وإن كان المحذوف ياء كانت الواو حركة طويلة (مدية) ؟ انظر الفرق بين المثالين :.

المصطفى ← المصطفَوْن   المصطفِى ← المصطفُون

ليس في الأسماء فقط تفعل لغتنا العبقرية ، بل في الأفعال أيضا ، فالناقص المنتهى بألف مد عند إسناده إلى واو الجماعة تصبح هذه الأخيرة واوا ساكنة مسبوقة بفتح :

دعا ← دعَوْا   يُقتدى ← يفتدَوْن

على عكس المنتهي من الناقص بواو أو ياء ، تتحول واو الجماعة إلى واو مد ، كما في :

يدعو ← يدعُون [1]

يدَّعى ← يدعون

يرتضى ← يرتضون

لقد خالفت العربية بين واو الجماعة مع الأفعال وواو الجمع مع الأسماء حتى تفرق بين الكلمة إذا انتهت بألف مد ، أو بواو أو ياء ، ألم أقل إن العربية لغتنا نظرها حاد وحديد ، لغة عبقرية مميزة فائقة العبقرية ، غير نمطية ، وغير فوضوية، ولو كانت كذلك لجعلت الواو في الحالتين واوا واحدة ، مدية أو نصف حركة (لينة) w أو y .

٣- وانظروا - أيها العرب - إلى عبقرية لغتنا ، حين نصبت جمع المؤنث السالم بالكسرة ، بدل الفتحة ، كما في مثل : أنصفت المتفوقات الممتازات المخلصات ، لم يك النصب هنا بالفتح مخالفة للفتحة الطويلة - ألف المد - قبل تاء الجمع ، وإلا فإن هذى التاء ستكون مسبوقة بفتحة ، هي طويلة ومتلوة بنظيرتها ، وإن كانت قصيرة ، قد يكون في توالي حركتين من جنس واحد نوع من الرتابة تحاشتها لغتنا بالمخالفة بين الحركتين ، كما رأينا.

وفي المثنى المنصوب والمجرور تأتي الياء - ليس الألف - علامة الإعراب في الحالتين ، كما هو المعروف لدى الداني والقاصي ، وفي جمع المذكر السالم نجد ذات الياء - بل والنون أيضا - علامة الجر والنصب كليهما ، ولكن لغتنا بعبقريتها المرهفة الرفافة الشفافة اللطيفة البارعة فرقت بين المثنى وبين جمع المذكر ، فقد

(١) الواو هنا واو الجماعة ، وليس واو الفعل ، هذي الأخيرة حذفت حتى لا تتجاور حركتان ، وهو ممنوع محظور في العربية ولم تلجأ العربية إلى حذف واو الجماعة ، لأنها ركن من أركان الجملة.

جعلت النون في الأول مكسورة ، والياء ساكنة مفتوح ما قبلها ، كما ترى : (رأيت مسلمَيْن صائمَيْن غير مفطرَيْن).

في حين جعلت العربية نون الجمع مفتوحة ، والياء ياء مدية ، حركة ، وليست نصف حركة (لينة) : رأيت المسلمِينَ الحقيقِيين صائِمين غير مفطِرين.

لقد خالفت العربية بين صيغي التثنية والجمع بهذا الطريقة لتثبت للقاصي وللداني ، القريب منها ، والبعيد المتباعد أنها لغة عبقرية حقا ، بل قل حقا وصدقا ، ولكن أكثر العرب ربما لا يصدقون ، عجبي عليهم ولهفي !!.

ونعود إلى ما ذكر البعلبكي حول ظاهرة الصهر ، إذ يقول : ويمكن التمييز - من ناحية أخرى - بين الصهر الاختياري في نحو will not ← won't والصهر الإلزامي في نحو j'ai .

تشير العبارة السابقة إلى أن عملية الصهر تكون إجبارية ، أي مطردة ضرورية ، وقد تكون عكس هذا ، مثال الأول je ضمير المتكلم بالفرنسية (أنا) هذا الضمير تسقط حركته عند اتصاله بفعل يبدأ بحركة ، حيث إن حركة الضمير e لا تلتقي حركة أخرى بعدها ، كما في مثل :

j'ai été (كنت)	j'ai (عندي)
j'ai eu (كان عندي)	j'aurai (سيكون عندي)
j'aime (أحب)	j'ai aimé (أحببت)
j'aimerai (سأحب)	j'irai (سأذهب)

جدير ذكره أن قوانين الصهر في الفرنسية تجبر e على الاختفاء في الضمير je إذا جاور حركة فقط ، فإن جاور صامتا بقي على حاله ، كما في :

je suis (أكون) | je serai (سأكون) | je partirai (سأغادر)

ومن ناحية أخرى فإن الفرنسية تجيز تجاور الحركتين مع الضمائر الأخرى، ولا تصهر حركة الضمير ، كما تفعل في je ، انظر إلى الأمثلة :

tu es (تكون) | tu as été (كنتَ)

elle a (عندها) | elle aura (سيكون عندها)

هذا في الفرنسية في الصهر الإجباري ، فماذا عن هذا النوع من الصهر في العربية ، أو قل فماذا عن أمثلته في لغتنا ؟

فمن الصهر الإجباري ما سبق في الإعراب والتنوين حال الوصل ، وغيابهما حال الوقف ، هذا أمر مقرر موجوب (واجب) في العربية ، قول واحد ثاني له في النثر العربي.

ومن الصهر الإجباري الوقف بالسكون ، أو الحركة الطويلة ، ليس القصيرة ، في النثر ، أما الشعر فله تفصيل لاحق ، بعد سطور.

ومن هذا النوع من الصهر في لغتنا أيضا ظهور فتحة النصب على الواو الياء في الأفعال المنقوصة ، وحذف حرف العلة - أو تقصيرها - في الأمر والمضارع المجزوم ، وكذا ظهور فتحة النصب على ياء المنقوص ، وهذى بعض أمثلة : لن ينجُوَ اللصوص - لن تُرضىَ الجاحد - لم ينجُ متآمر - لما يَرْضَ الطفل - ادعُ إلى العقل - ارضَ بما قسم الله - أرضِهم ما دمت في أرضهم - إن القاضي مؤتمن.

فإذا انتقلنا إلى الشعر العربي وجدناه يصرف ما لا ينصرف ، كما نجد شعرنا العربي يجيز الوقف على الحركة القصيرة ، ومن ثم هذا مما يعد صهرا اختياريا في شعر العرب ، أما في النثر فهو صهر إجباري ضروري.

هذا حفني ناصف يذكر صديقه الشاعر حافظ إبراهيم ـ رحمهما الله ـ بقيامهما مع أربعة آخرين (فقد كانوا ستة) بتأبين الإمام محمد عبده ، وتصادف أن مات أربعة منهم بنفس الترتيب الذي كانوا عليه عند التأبين :

أتذكر إذ كنا على القبر ستة نعدد آثار الإمام ونندبُ
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ممات على وفق الرثاء مرتبُ
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم وجاء لعبد الرازق الموت يطلبُ
فلبى ، وغابت بعده شمس قاسم وعما قليل نجم محياه يغربُ
فلا تخش هلكا ما حييتُ وإن أمت فما أنت إلا خائف تترقبُ
فخاطر وقعْ تحت القطار ولا تخف ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب

إذ الملاحظ أن الأبيات كلها تنتهي بضمة قصيرة ، وهو مسموح به في الشعر العربي.

أما صرف ما لا ينصرف فقد جري على ألسن الناس أن الشاعر يصرف ما ينصرف ، ويستشهدون على هذا بقول امرئ القيس من معلقته (بحر الطويل) :

ويوم دخلت الخدر ، خدر عنيزةٍ فقالت : لك الويلاتُ ؛ إنك مُرجلي

مرجلي أي ستجعلني أترجل ، أي أمشي على رجليَّ ، وأنزل عن راحلتي وهودجي ، والشاهد في البيت تنوين (عنيزةٍ) مع أنها اجتمعت لها علتان لمنع الصرف ، هما العلمية والتأنيث.

ومما استشهد به على أن الشاعر يصرف ما لا ينصرف قول أمية بن أبي الصلت (من بحر الخفيف) في قاتل ناقة صالح ، عليه وعلى نبينا أذكى الصلوات :

وأتاها أحيمرٌ كأخي السَّهـ ـم بعضب ، فقال : كوني عقيرا

العضب هو السيف القاطع التي قتل الناقة ، والشاهد تنوين (أحيمر) في حين حقها المنع من الصرف.

آخر شواهد صرف ما لا ينصرف في شطر امرئ القيس :

تبصر خليلي ، هل ترى من ظعائنٍ ..

الشاهد تنوين (ظعائن) وجره بالكسرة ، إذ الممنوع من الصرف يجر بالفتحة ، والتنوين هنا ليس من حق الكلمة ؛ لأنها على صيغة منتهى الجموع.

وعلى أية فإن من النحاة من يرى أن صرف ما لا ينصرف مطلقا لهجة من لهجات العرب ، قال الأخفش : وكأن هذه لغة الشعراء ؛ لأنهم اضطروا إليه ، فجرت ألسنتهم على ذلك في الكلام . [1]

وعلى أية حال فإنا نخلص مما سبق إلى أن صرف ما ينصرف في الشعر جائز ، وعليه فإن هذا نوع من الصهر الاختياري لدى الشعراء ، في حين هو ممنوع لدى الناثرين ، كما أن الشاعر وقف على التنوين في (ظعائنٍ) وهذا الوقف غير مسموح به في النثر ، فحذف التنوين في الوقف نثرا هو صهر ضروري ، وشعرا هو صهر اختياري.

ولمزيد من التفصيل عن ظاهرة التنوين فإن القارئ يسطيع مراجعة البحث الضافي الذي كتبناه في رسالتي للدكتوراه بدار العلوم ١٩٨٣ ، وهي الآن تحت الطبع ، نأمل أن تخرج لجمهور قراء العربية قريبا ، ورسالة الماجستير (قراءة أهل المدينة في القرن الأول الهجري) دار العلوم ١٩٧٧ ، أما الدكتوراه فكانت عن قراءة الأربعة الشواذ.

(١) شرح الأشموني ٣/٤٨٤.

وعن ظواهر الصهر الاختياري ، ولكن هذه المرة في النثر والشعر ما يلي :

١- **الاسم المنقوص** : المنتهي بياء زائدة يصح أن ينون ، مع حذف الياء ، أو تقصيرها إلى كسرة ، كما في محامٍ وهادٍ وداعٍ أو محامي وهادي وداعي ، تقول : هذا داعٍ إلى الحق ، أو : هذا داعي إلى الحق ، كلاهما صح وصحيح وحق وحقيق.

جاء في شذا العَرْف [١] : (إذا كان منصوبا منونا نحو : رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ... [٢] أو غير منون ، مقرونا بـ الـ ، نحو : كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ... [٣] ، فإنه ينصب بالفتحة الظاهرة ، ليس المقدرة ، فإن كان غير منصوب جاز الإثبات والحذف ، ولكن يترجح في المنون الحذف ، نحو : هذا قاض ، ومررت بقاض ، وقرأ ابن كثير : وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالي [٤] ، وفي غير المنون يترجح الإثبات كبدا القاضي ، ومررت بالمنادي ، وقرأ الجمهور : الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) [٥] أي على الوقف بالسكون ، وليس بياء المد (المتعالي).

وعن القراءات المختلفة في كلمتي : والى - المتعال ، قال البنا الدمياطي : [٦]
وأثبت الياء وقفا في هادْ ووال وواق ابن كثير على الأصل ، وأثبتها في الحالين أي في الوصل والوقف في : المتعالْ ... ابن كثير ويعقوب من غير خلاف ، كما في النشر.

---

(١) ص ١٩٦.
(٢) ١٩٣ آل عمران
(٣) ٢٦ القيامة.
(٤) ١١ الرعد.
(٥) ٩ الرعد.
(٦) إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٧٠.

صفوة القول مما سبق ، وخاصة من خلال القراءات القرآنية أن العربية تجيز أن ينتهي المنقوص المنون ـ غير المنصوب ـ أن ينتهي بياء المد ، هذا قاضي ـ تكلمت إلى قاضي ، أو ينون مع حذف الياء (هذا قاضْ ـ تكلمت إلى قاضْ) بالتنوين في الأصل ، وتعطيله عن التنوين وإسكان الآخر في الوقف.

كما تجيز العربية أيضا أن ينتهي المعرف بأل من المنقوص إما بالياء المدية (الكبير المتعالي) أو بحذفها عند الوقف ، حيث يسكن الآخر ـ اللام هنا ـ كما جاء في قراءة الجمهور (الكبير المتعالْ) عند الوقف ، وبكسرة عند الوصل (الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ، سَوَاء مِّنكُم...) (1).

ومن ثم يتم التعامل مع صيغة المنقوص بياء مدية في حالتي الوصل والوقف ، أو بتنوين حال الوصل ، مع حذف الياء ، وفي الوقف بالسكون بلا إعراب ولا تنوين حال الوقف على أنه صهر اختياري ، في حين تأتي حالة النصب بالياء الظاهرة منونا أو غير منون على أنه صهر إجباري ، غير اختياري ، كما في : أكبرت الداعيَ إلى الحق ـ صادفت داعيا إلى الحق ، وفي الوقف بياء المد في الأولى ، وبألف المد في الجملة الأخيرة (أكبرت الداعي ـ صادفت داعيا).

٢ـ ياء الإضافة : هي ياء زائدة آخر الكلمة ، ليست بلام الفعل ، وتتصل بالاسم ، وتكون مجرورة المحل، نحو (نفْسي ـ ذِكري) وحين تتصل بالفعل تكون في محل نصب ، مثل (فطرني ـ ليحزنني) وحين تتصل بالحرف تأتي في محل نصب أو جر ، فمثال النصب (إني) والجر (عني ـ كتابي) ويصح أن يأتي مكانها هاء الغائب وكاف المخاطب فتقول في : (نفسي ـ فطرني) تقول : (نفسه ـ فطره) أو : (نفسك ـ فطرك).

(1) ٩ ، ١٠ الرعد.

ومرة أخرى مع البنا الدمياطي [1] : (الفتح والإسكان فيها لغتان فاشيتان في القرآن وكلام العرب) وعليه فإنا نستطيع نطق الياء في الوصل مدية صرف نحو (إني قائم) أو ياء لينة مفتوحة (إنِّيَ قائم) وهو هنا صهر اختياري بين نطق هذا الضمير /i:/ أو /ya/ وهذا ما تجيزه قواعد العربية.

أما حال الوقف فإن الصهر يكون إجباريا ، حيث يلزم أن تكون الياء مدية فقط /i:/ وكذا يكون الصهر إجباريا في حالات :

(أ) إذا جاء بعد الياء صامت ساكن ، كما في : (نِعْمَتِيَ الَّتِي ...حَسْبِيَ اللهُ).

(ب) إذا كان قبلها ألف مد ، حيث لا تلتقي في العربية حركتان ، ولذا كانت الياء لينة مفتوحة ، ليست مدية ، كما في (هداي - بشراي).

(ج) فإن قبلها ياء مد سقطت هذى الياء ، أو حذفت ، حتى لا تلتقي حركتان ، وهو ما تحظره العربية ، ولكن يعوض عن هذا السقوط بتضعيف الياء اللينة - نصف الحركة - مع الفتح ، هكذا (فِيَّ)هذا صهر إجباري.

ونلاحظ أن العربية فرقت في الصهر بين (هدايَ - بشرايَ - مثواي - رؤياي) وأضرابه ، عندما تتصل ياء المتكلم باسم - كما ترى - وبين (إليَّ - عليَّ - فيَّ) حيث اتصلت الياء بحرف جر ، هو (إلى - على - في) فحذفت لغتنا الحركة الأخيرة فتحة طويلة كانت أو كسرة طويلة ، فهما حركتان مختلفتان في النطق قطعا قطعا ، وإن كتبتا كلتاهما بشكل واحد ، هو حرف الياء ، كما رأينا ، لقد عاملت الحرف معاملة مختلفة عن الاسم هنا فحذفت الحركة الطويلة من الحرف ، وإن عوضت عنها تضعيف اللام ، في حين أبقت ألف الاسم ، لم تقترب منها ، فوضعت الاسم في مكانه

---

(١) ص١٠٨.

ومكانته ، والحرف أيضا ، فما علة هذى التفرقة ؟ سؤال يحتاج إلى إجابة في مكان آخر.

بقي أن نذكر أن آخر ما ذكر البعلبكي عن ظاهرة الصهر : إذ أشار إلى ما سماه : (صهر نغمي) ثم : (صيغة مصهورة ، صيغة منحونة الصيغة الناتجة عن صهر داخلي أو خارجي).

ونبدأ بالصهر النغمي ، صهر النغمات ، أو والنغمات المصهورة فالتنغيم أو موسيقى الكلام موجود في معظم لغات العالم - إن لم يك كلها - وإن اختلفت في استخدامه أو عدم الاستخدام في التمييز بين المعاني ، أو بمعنى آخر استخدامه كوحدة صوتية، واللغة الصينية خير مثال على هذا ، وتعرف اللغات من نوع الصينية هذه باللغات النغمية ، مثل اللتوانية - لغة لتوانيا التي تساحل بحر البلطيق إلى الشرق منه - واللغة الصربو - كرواتية [1] ، وهي لغة واحدة، إلا أنها تكتب في صربيا بالحرف الروسي ، وفي كرواتيا - أو الكرواتية - بالحرف الأوروبي (اللاتيني).

وفي دورة قسم الصوتيات بجامعة الإسكندرية ١٩٧٥، والتي رأسها البروفيسور كلاس كريستيان إيلرت ، شرح للحضور الفرق بين اللغات النغمية وغير النغمية ، ثم أشار إلى أحد الإفريقيين المشاركين وطلب منه مثالا على الكلمات النغمية في لغته ، لينطقه علينا بنغماته المختلفة ، وكل نغمة تعطي للكلمة معنى مختلفا عن الآخر ، فاختار الشاب كلمة (ويرى) فإذا نطقها بنغمة صاعدة جدا كانت تعني الثعبان ، وإن هبطت النغمة انتقلت إلى معنى آخر ، وهكذا.

نعود إلى التنغيم في لغة العرب لنشير إلى أن العربية لا تعد من اللغات النغمية ،

---

(١) مالنبرج : الصوتيات ، ترجمة محمد حلمي هليل ، ص١٥٦ - ١٥٧.

فأكثر ما يستخدم التنغيم في مثل هذى اللغات للدلالة على المعاني الإضافية، أو التطريزية ، مثل التأكيد ، والانفعال والدهشة والغضب... الخ ، ففي العربية المعاصرة كلمة (لا) إذ نطقت بنغمة هابطة كانت الجملة تقريرية ، بمعنى : لا أوافق.

أما عن الصهر النغمي في العربية فيمكن التمثيل له بما يلي :

(أ) كلمة (لا) إذا نطقت بنغمة صاعدةَ هابطة ، دلت على الدهشة أو الاستنكار.

(ب) ولكن الجملة ذات الطرف الواحد ؛ لأنها مكونة من طرف واحد ، أو كلمة واحدة ، هي (لا) إذا نطقت بنغمة هابطة صاعدة كانت توكيدية .[1]

بقي أن نختم الحديث عن الصهر اللغوي بالصيغ المصهورة ، أو المنحوتة في اللغة العربية ، وهي عديدة كثيرة ، منها :

(أ)عبشمي : منسوبة إلى (عبد شمس).

(ب) درعمي : منسوبة إلى (دار العلوم).

(ج) حصّول : حضرة الصول (المساعد) في الجيش أو الشرطة.

(د) حزباشا : حضرة اليوزباشي (الرائد) في الشرطة والقوات المسلحة.

(هـ) حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله.

(و) هلل : قال : لا إله إلا الله.

(ز) هيعل : قال : حي على الصلاة.

(ح) عبعزيز ، عبسميع : عبد العزيز ، عبد السميع في اللهجة المصرية.

وهكذا ننتهي إلى ختم الحديث حول الصهر اللغوي ، نأمل أن نكون وفقنا في اختيار ما قدمنا من أمثلة ، ونسعد كثيرا إذا تكرم علينا زملاء المهنة ورحم العلم والله بما يعن له من ملاحظ على ما قدمنا ومثلنا.

---

(١) مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص٢٦٦.

المادة الرابعة والثلاثون
{٣٤}

تميز العربية بالسلب ، أي بحذف عنصر من الكلمة أو أكثر ، وفي العربية زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، بلا حشو ، ولا تزيد ، بل إن لغتنا ربما تميز بين كلمة وأخرى بتغيير عنصر واحد من عناصر الكلمة ، حتى إن العربية تقتطع من الكلمة إذا كثر استخدامها.

تميز العربية عادة بالسلب ، أو باختصار عناصر الكلمة واختزالها ، وليس عن طريق تحميل الكلمة عناصر إضافية على الكلمة ، وهذي أمثلة :

١- الإضافة : في المفرد يحذف التنوين ، إشارة إلى الإضافة ، وفي المثنى وجمع المذكر تحذف النون ، كما في :

- كتاب النحو ← بدون تنوين كلمة كتاب.
- كتابا الصرف والنحو ← بحذف نون المثنى.
- إلى صائمي رمضان ← بحذف نون الجمع.

وهكذا لم تحمل العربية الكلمة ولا الجملة عنصرا آخر للدلالة على الإضافة كما في العاميات العربية (ابتاع ـ حق) كما في :

- الدكان (ابتاع) الراجل = دكان الرجل.
- الكتاب حق الولد = كتاب الولد.

وفي اللغة الإنجليزية كلمة of أو du في غيرها ، لكن لغتنا العربية ميزت بالسلب.

٢ـ وفي العلم الموصوف بابن يحذف منه التنوين دلالة على البنوة ، والبنوة الحقيقة ، مثل:

- محمد بن عبدالله ، بدون تنوين (محمد).
- عماربن ياسر ، بلا تنوين لعمار.

كما يلاحظ أيضا حذف الألف بسبب شدة الارتباط بين الكلمتين، وهو تعبير بالسلب.

٣ـ وفي الوقف لا إعراب ولا تنوين، لماذا ؟ للدلالة على أن كلامى قد انتهى، ويستطيع المستمع أن يبدأ كلامه ، فلايقاطعني أثناء كلامى ، تقول:

- قال الرجل ، بسكون اللام.
- مررت برجلْ ، بالسكون، دون تنوين ، ولا إعراب ، وهكذا ميزت العربية بالسلب ، أي بحذف بعض العناصر، لبس بتحميل الكلمة عناصر إضافية.

ومن ثم فلا زيادة للمبنى إلا بسبب زيادة في المعنى، بلا حشو، ولا تزيد من أي نوع.

يقول ابن جنى(١): حذف التنوين للإضافة لأنها ضدان، كيف؟ التنوين مؤذن بتمام ما دخل عليه، والإضافة حاكمة بنقص المضاف وقوة حاجته إلى مابعده، التنوين علم للتكبر، والإضافة موضوعة للتعريف.

---

(١) الخصائص ٢/ ٢٥.

صدقت يا ابن جنى.

انظر إلى حروف الزيادة على الأسماء والأفعال المجردة، كل عنصر يزاد يفيد معنى جديدا.

قارن بين المجردات والمزيدات :

- كتب / كاتب.
- علم / تعلم.
- فهم / استفهم.

ولمن رام مزيد أمثلة في التجرد والزيادة رجع إلى مطولات الصرف ومظانه فهذا من المقرر الذي لا ينكر في العربية.

وفي الأسماء :

- فهم / أفهام.
- مسلم / مسلمان.
- صائم / صائمون.
- بشارة / بشارات.
- جمل / جمال / جمالات.

وهذا اقتباس من عبقري العربية ، ابن جني في خصائصه : (قوة المبنى تؤدي إلى قوة المبني) قوة اللفظ لقوة المعنى ، أي بسبب قوة المعنى ، مثال :

- خشن / اخشخوش ، معنى خشن دون / اخشخوش : لما فيه من تكرار العين وزيادة الواو ، قال عمر : (اخشوشنوا وتمعددوا) أي : اصلبوا ، وتناهوا في (الخشنة) الخشونة.

- أعشب / اعشوشب المكان : إذا أرادوا كثرة العشب قالوا : اعشوشب.
- حلا / احلولى - خُلق / اخلولق - غدن / اغدودن.

ومثله باب فعل / افتعل :

- قدر / اقتدر ، الأخيرة أقوى (...أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ) و (مقتدر) أوفق من (قادر) من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة الأخذ.
- رجل جميل ووضيء : فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا : (وُضاء - جُمال).

الزيادة هذه كلها كلها ذات دلالة ، ولا تأتي هكذا مطلقا ، أي بدون فائدة ، بل في العربية طرفة وملحة ، تذكر هنا ، فلا تعاب من أحد ولا تنكر ؟ كيف بالله عليك ؟

إن العربية يمكن أن تغير عنصرا واحدا من عناصر الكلمة لتدل على معنى آخر يقترب في شيء من المعنى الأول ، ويبتعد عنه في شيء آخر :

الكسوف والخسوف : كلاهما حجب الشمس أو القمر ، لكن في حالة الشمس يسمى الكسوف بالكاف ، وفي حالة القمر ، يسمى الخسوف بالخاء.

القضم والخضم : كلاهما أكل بالأسنان وصحن ومضغ ، لكن القضم للأشياء الصلبة ، والخضم للأشياء اللينة الهينة على الأسنان.

من وما : من للعاقل ، وما لغير العاقل (تكلمت إلى من في البيت وليس ما في البيت).

مَنْ ومِن : مَن بفتح الميم للاستفهام ، وبكسرها حرف من حرف الجر (من هناك ؟) ومثل : (جئت من البيت الآن).

الذي والتي : الأولى للمذكر ، وا...

وهكذا بتغيير عنصر واحد من عناصر الكلمة ، سواء من الصوامت ، أو الحركات، يتبدل المعنى ويتغير بسبب تغير ذياك العنصر.

ومن طرائف العربية التي تتحفنا بها دوما ، أن الكلمة إذا كثر استخدامها أبيح الحذف منها ، مثل ماذا ؟ مثل :

٤- في شرح المفصل لابن يعيش [١] : لما كثر استعمال (ما) الاستفهامية ، وتشعبت مواضعها ، وأوقفوها على ما لا يعقل وعلى صفات من يعقل ، وربما اتسعوا فيها ، وأوقعوها على ذواتهم اجترؤا على ألفها ، تارة بالقلب ، وتارة بالحذف ، قال الشاعر أبو ذؤيب : قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام ، فقلت (مَهْ) أي (ما هذا ؟) أو ما الأمر وما الخطب؟ قيل : مات رسول الله (ﷺ).

فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله ، جديرة بك أن تبكيك العيون دمعا غزيرا مدرارا ، بل دما ساخنا عبيطا ، يا سيد العرب والعجم ، يا سيد ولد آدم ، ولا فخر ، يا سيد الأولين والآخرين.

على أية حال ، وفي كل حال تحذف ألف المد ، أو تقلص وتختصر إلى فتحة فقط ، كما في : (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ ؟).

٥- حذف الضمائر الرواجع في صلة الموصول ، وقد جاء الحذف والإثبات في كتاب الله تعالى :

- (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً) أي بعثه [٢].
- (الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ [٣]).

---

(١) ٤ / ٦.
(٢) ٤١ ، الفرقان.
(٣) ٢٧٥ ، البقرة.

٦- المنادى المضاف لياء المتكلم سواء أكانت ياء مد (كسرة طويلة) أو ياء لينة مفتوحة يمكن أن تحل محلهما الكسرة فقط :

- يا عبادي / يا عباد ، بكسر الدال ، وعند الوقف تسكن هذه الدال ، فنقول : يا عبادْ.
- يَا عِبَادِيَ / يا عبادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا [١].
- يا ابن أمي ← يا ابن أمّ .
- يا ابن عمي ← يا ابن عمّ.
- يا أبي ← يا أبهْ.

٧- الترخيم : وما أدراك ما الترخيم ، هو نوع من الحذف بسبب كثرة الاستخدام :

- يا مالك ← يا مال.

٨- النداء : تحذف أداة النداء لكثرة استخدامها كقوله تعالى على لسان عزيز مصر : (يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا....) أي : يا يوسف ، أعرض عن هذا.

٩- وفي الاسم الموصول أمثلة أيضا :

- الأولاء ← الأولى ← لجمع المذكر كثيرا ، ولغيره قليلا.
- اللاتي ← اللائي بياء مد ← اللات ، اللاء ، بكسر التاء والهمزة لجمع المؤنث.

وما سبق مجرد أمثلة وعينات فقط ، وإلا فإنا لو أردنا أن نستقصي كل مواضع الحذف بسبب كثرة الاستخدام ، فإن هذا أمر بسطه يطول ويطول ، وأنا عنه بدستور اللغة العربية مشغول مشغول.

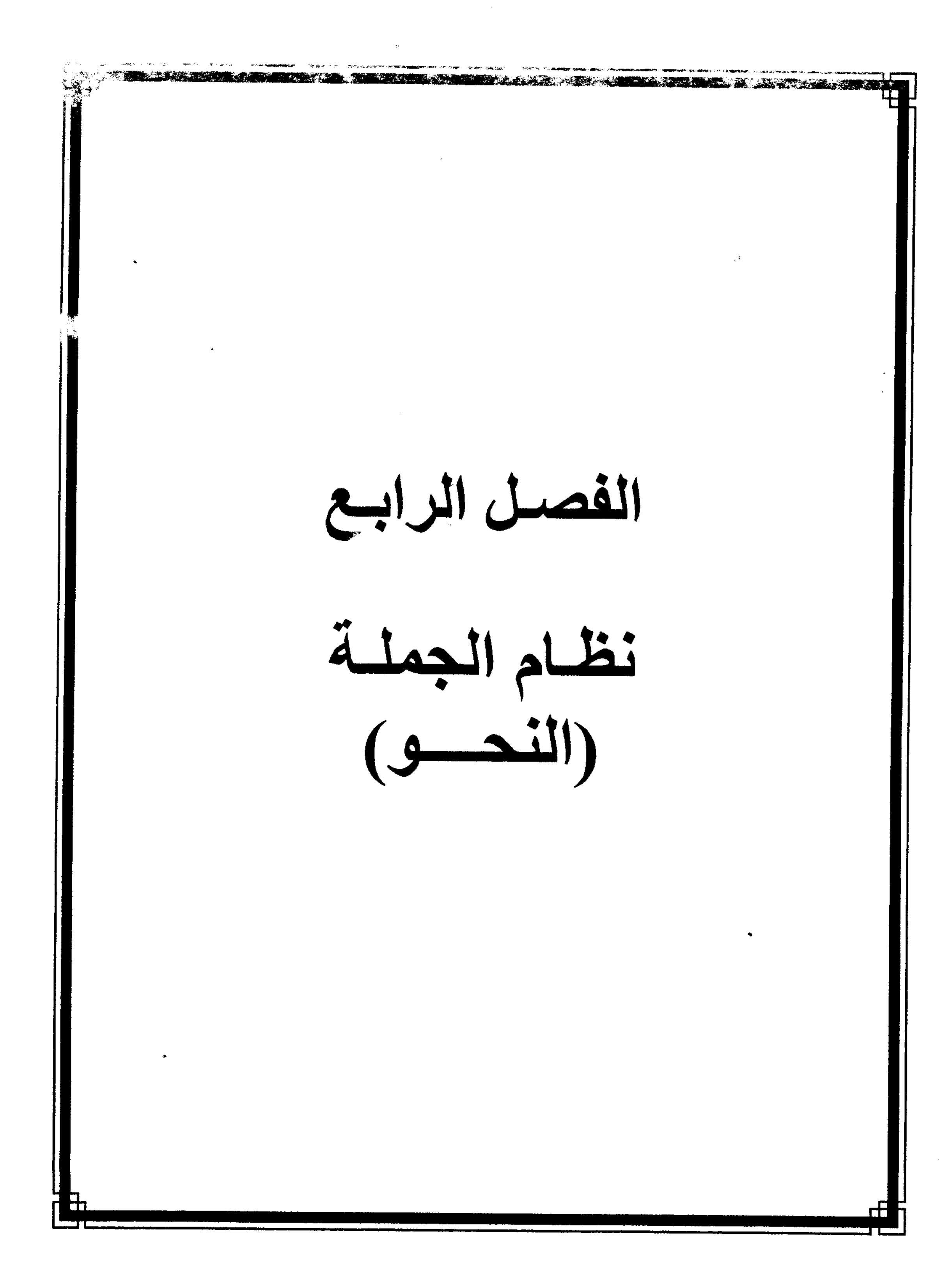
---

(١) ٥٣ الزمر.

ويرغم هذا لا أبخل على القارئ ببضعة أمثلة أختم به هذه المادة الرابعة والثلاثين من دستور اللغة العربية :

- سوف / السين المفتوحة فقط.
- منذ / مُذ.
- لعل / علّ.
- ورب / وَ ← الواو المفتوحة فقط.
- وبخاصة / خاصة ← بدون الباء.
- وخاصة / خاصة ← بدون الواو.
- وخصوصا / خصوصا ← بدون الواو.
- ولاسيما / لاسيما ← بدون الواو.
- لاسيما / سيما ← بدون لا.

وهكذا انتهينا بحمد رب العزة من نظام الكلمة (الصرف) لننتقل إلى نظام الجملة (النحو) بادئين بالمادة الخامسة والثلاثين من دستور اللغة العربية ، ولله الحمد والمنة.



الفصل الرابع

نظام الجملة
(النحو)

المادة الخامسة والثلاثون
{٣٥}

إذا كان الصرف نظام الكلمة ، فإن النحو نظام الجملة ، ومن ثم فالنحو ليس الإعراب ، إنما هذا الإعراب جزء فقط من نظام الجملة ، أو جزء من النحو.

النحو إذن نظام الجملة ، كل لغة لها نظام نحوي خاص بها ، ومن ثم فإن النحو العربي هو - كما - عبر ابن جني :

(انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره) مثل ماذا يا ابن جني ؟

مثل :

- التثنية والجمع (العدد).
- والتحقير والتكسير.
- الإضافة.
- النسب.
- التركيب ، وغير ذلك.

لكن ابن جني أقحم التصغير والتكسير (الجمع المكسر) والنسب ، وهو ما يدخل في نظام الكلمة (الصرف) وليس النحو ، أو لعله قصد بالنحو (الصرف والنحو معا).

فما الهدف من تعلم النحو ؟ ليلحق من ليس بأهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها ، وإن لم يك منهم ، وإن شذ بعضهم عنها ، رد إليها.

ثم ينتهي ابن جني إلى محاولة تأصيل كلمة (النحو) لغويا ، فيقول : وهي - أي كلمة (النحو) مصدر شائع - نحوت نحوا - مثل قصدت قصدا ، ثم خص بها انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما أن الفقه في الأصل مصدر (فقهت الشيء) أي عرفته ، ثم خص علم الشريعة من التحليل والتحريم ، كما أن بيت الله خص بالكعبة ، وإن كانت البيوت كلها لله ، وله نظائر في قصر ما كان شائعا في جنسه على أحد أنواعه ، وقد استعملته العرب ظرفا ، وأصله المصدر ، كما في ... وهن نحو البيت عامدات [1].

كأنك يا ابن جني توافقني على أن الإعراب ليس النحو ، بل جزء منه ؟ مرة أخرى هذا نص كلامك : (النحو : انتحاء سمعت كلام العرب ، من إعراب وغيره) الإعراب إذا جزء من القصة ، ليس القصة كلها ، ولا حتى جلها ، صدقت يا ابن جنى وأحسنت.

ولا يكتفي ابن جني بما سبق ، بل يحاول تعريف الإعراب ، بعد تعريف النحو ولو كانا شيئا واحدا لاكتفى بتعريف أحدهما فقط ، فما تعريفه للإعراب ؟ إنه : مصدر أعربت الشيء ، إذا أوضحت عنه ، وفلان معرب عما في نفسه أي مبين له ، وموضح عنه ، ومنه عربت الفرس تعريبا ، تنسف أسفل حافره ليظهر ما كان خفيا من أمره، تعرف أصحيح هو أم سقيم ؟ والمعرب صاحب الخيل العراب ، ويعرف الخيل من صوته أنه عربي ، العروبة الجمعة ، لأن يوم الجمعة أظهر أمرا وشانا من بقية أيام الأسبوع ، لما فيه من التأهب لصلاة الجمعة والتوجه إليها ، وقوة الإشعار

(١) الخصائص ١/٣٤.

بها [1].

وفي شرح الأشموني [2] : النحو في الاصطلاح ، العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها.

إذن النحو في النهاية والخلاصة :

معرفة أجزاء الكلام والجمل والتي هي الكلمات التي تكون الجملة والنص ، ولا نص على الإعراب ، ولا ذكر له هنا.

أي أنه مع الإعراب أشياء أخر ، هي التي تكون النحو ، أو نظام الجملة ، وهي :

١ـ **التقديم والتأخير** : أو حركية الكلمات داخل الجملة ، أو النص ، وتتميز الجملة العربية بمرونة شديدة ، لا تقارن بأية لغة في هذه المرونة ، ففي الإنجليزية ـ مثلا ـ تبدأ الجملة بالاسم ، فإن بدأت بفعل كانت استفهامية قولا واحدا ، قارن بين :

- he is a boy. هو ولد
- is he a boy ? هل هو ولد

في حين تجد العربية تبدأ بالأسماء أو الأفعال أو حتى الحرف نفسه انظر :

- ذهب الشر.
- الشر ذهب.
- إن الشر ذهب.

---

(١) السابق ٣٦/١.
(٢) تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد ، القاهرة ١٩٩٣م ، ١٧/١.

صحيح أن العربية لا تأبه بالحرف في هذه المسألة ، فتقسم الجمل إلى فعلية واسمية فقط ، ولا نقول للجملة التي تبدأ بالحرف بأنها جمل حرفية ، هذا ما فعل نحاة العربية وفرسانها ، ففي مثل (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) لا يعتد بلم ، وهي حرف ، ولا يقال (جملة حرفية) لا في هذا المثال ، ولا في غيره.

الجمل العربية لها نمط أساس في ترتيب الكلمات داخل الجملة ، لكن هذا النمط لا يستقر على حال ، بل يتغير ويتبدل بشكل شديد الوضوح ، وشديد المرونة.

وبرغم أننا سوف نخصص مادة بعينها لمرونة مواقع الكلمات داخل الجمل ، فإننا نكتفي هنا بمثالين اثنين فقط :

أ ـ الجملة الفعلية ترتب كلماتها كالآتي :

الفعل / الفاعل / المفعول

تقول : (أكل الولدان التفاحتين) هذا هو الترتيب النمطي للجملة ، لكن أيبقى هذا الترتيب دوما ؟ كلا ، كلا ، وهذى أمثلة :

- يجوز تقديم المفعول ـ مع أن مكانه التأخير عن الفاعل ، أي يأتي بعد الفاعل ـ مثل : (وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ [1] النُّذُرُ) النذر فاعل، برغم أنه تأخر، و (آلَ فِرْعَوْنَ) مفعول ومضاف إليه ، برغم أنه تقدم.
- وفي بعض الأحيان يجب تقديم المفعول ـ نقول يجب وليس يجوز ـ كما في (أكرمني الرئيس).
- وأحيانا يجب تقديم الفاعل ، إذا خفي الإعراب ، كما في (أكرم مصطفى مرتضى) لابد من تقديم الفاعل على المفعول ، حيث إن الإعراب بالحركات المقدرة غير الظاهرة.

---

(١) ٤١ ، القمر.

- بل يا طويل العمر قد يتقدم المفعول - لا على الفاعل فقط - بل على الفعل نفسه ، مثل : (فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ ، وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ (١) - وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٢)) (٣) جاءت المفاعيل كلها قبل بداية الجملة النمطية المعتادة وهي الفعل ، فجاءت (فريقاً) مرتين قبل الفعلين ، وجاء المفعول (ربَّكَ) قبل الفعل (فَكَبِّرْ) ألم أقل لك يا صاح إن العربية تتميز جملها بقدر هائل جدا من مرونة حركة الكلمات داخل جملها.

مثال آخر :

- كان وأخواتها ، الترتيب التقليدي النمطي المعتاد (كان المؤمنون معتكفين) هذا هو الترتيب المعتاد ، ولكن ؟ أه من ولكن ، ولكن يصح ما يلي :
- يصح أن يتقدم الخبر على الاسم ، مع أنه في المعتاد يتأخر ، لقد تقدم الخبر في مثل (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤)) والترتيب النمطي : وكان نصر المؤمنين حقا علينا.
- بل يمكن أن يتقدم هذا الخبر - ليس على الاسم - ولكن على الفعل نفسه ، فيأتي بدء الجملة ، مع أن اعتياده أن يأتي آخر الجملة ، مثل تقدم الخبر على (كان) نفسها : (وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ (٥)) أنفسهم خبر كان مقدم ، ليس على الاسم فقط ، ولكن على (كان) نفسها.
- بل إن كان نفسها قد تأتي بمعنى وجد ، فتحتاج إلى فاعل ، ليس إلى اسم وخبر (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ (٦)) أي إن وجد.

---

(١) ٨٧ ، البقرة.
(٢) ٣ ، المدثر.
(٣) راجع : الكامل في قواعد العربية .... أحمد صفوت ٢٤٨/١ وما قبلها.
(٤) ٤٧ ، الروم.
(٥) ١٧٧ ، الأعراف.
(٦) ٢٨٠ البقرة.

- وقد تحذف كان الناقصة مع اسمها ، كما في الحديث : (التمس ولو خاتما من حديد) أي : ولو كان الملتمس خاتما من حديد.

كل ما يتعلق بالتقديم والتأخير ، حركة الكلمات داخل الجمل هو من اختصاص نظام الجملة ، أو هو ركن وجزء في علم النحو.

هذه المرونة في حركة الكلمات ما يناسب الشعر ، ويناسب لغتنا التي توصف بأنها لغة شاعرة ، أي نثرها أقرب إلى الشعر.

٢- <u>الجنس والعدد</u> : من الأشياء المهمة في النحو ، وفي نحو العربية على وجه الخصوص ، في حين تجد إن بعض اللغات كالماليزية تستخدم الكلمة الواحدة للمفرد والجمع ، وللمؤنث والمذكر على السواء ، مثل كلمة Arab إنها تعني :

- عربي.
- عربية.
- عرب.

في العربية الأمر يختلف ما بين المؤنث والمذكر والمفرد والجمع ، ولابد من المطابقة بين المبتدأ والخبر - مثلا - في الجنس والعدد :

- الرجل مؤمن.
- المرأة مؤمنة.
- الرجلان مؤمنان.
- المرأتان مؤمنتان.
- المسلمون معتكفون.
- المسلمات معتكفات.

وفي مرة كنت أشرح هذه المطابقة بين المبتدأ والخبره إذ بتلميذة صغيرة تقول لي : لكن يا أستاذ ، نحن نقول : الرغيف نصفان ؟ الرغيف مفرد ، نصفان مثنى ، والمثنى نوع من الجموع ، أو نوع من الجمع ؟ قلت لها : نعم نحن نقول : (الرغيف نصفان) لأن النصفين هما رغيف واحد ، لكنه انقسم إلى نصفين ، كما نقول: (العمارة عشرون شقة) أو أكثر ، فالعشرون شقة هي العمارة ، المطابقة إذن هي مطابقة في المعنى وليس في الشكل :

- الرغيف = نصفين.
- العمارة = عشرين شقة.

وهذا مثال آخر على التطابق في النوع والعدد ، أو قل أمثلة :

- محمد أكرمته.
- الرجلان قابلتهما.
- الرجال قابلتهم.
- الطالبات رأيتهن.

الضمير في نهاية الجملة والذي يعود على المبتدأ في مفتتح الجملة ، يجري التطابق بينهما ، بين الضمير والمبتدأ في النوع (مذكر / مؤنث) أو في العدد (مفرد / مثنى / جمع) وهكذا.

٣- <u>التعريف والتنكير</u> : هذه الخاصية (معرفة / نكرة) هي من اختصاص الأسماء فقط ، لا الأفعال ، فضلا عن الحروف ، لا صلة بين النوعين الأخيرين وبين التعريف والتنكير الذي يلعب دورا مهما في نظام الجملة العربية فالحال والتمييز دائما نكرة ، لكن صاحب الحال معرفة :

- جاء محمد مسرعا.

- اشتريت رطلا تمرا.

وفي إعراب الاسم الواقع بعد لا سيما إذا كان نكرة يرفع أو ينصب أو يجر ، وإذا كان معرفة فإنه يرفع أو يجر فقط ، ولا ينصب ، لماذا ؟ لأنه إذا نصب سينصب على أنه تمييز ، والتمييز لا يكون معرفة - البتة - بل يجب أن يكون نكرة.

٤- <u>الإعراب</u> : وهنا وصلنا إلى (مربط) الفرس ، الإعراب هذا الشيء المخيف المخاف ، الراعب المرعب ، هو ليس النحو ، هو جزء فقط ، وإن وسمناه بأنه جزء صعب أو (غلس) أو لا يفهم ، أو ...... ، أو ...... لكنه في كل الأحوال جزء من كل ، وليس كلا في كل.

وأنا الآن أكتب لك وصفة للتغلب على هذه المشكلة ، أو قل هي خريطة طريق لفهم معضلة الإعراب :

أ - لابد أن نفهم وأن نفهم متعلم العربية أن الإعراب ، ليس النحو ، إنما هو فقط فقط جزء من النحو.

ب- أن يكون لدينا الثقة في أن الإعراب شيء قابل للفهم والاستيعاب وأن ننقل هذه الثقة إلى أبنائنا وبناتنا الطالبات والطلاب.

جـ- أن يبتعد عن العشوائية : فإذا قلنا اسمع يا فتى ، ثم طلبنا إعراب كلمة (اسمع) فإن الطالب يمكن أن يقول : مبتدأ ، هذا خطأ كبير، لماذا ؟ لأن المبتدأ لا يكون فعلا البتة ، وهذا ما ينقلنا إلى النقاط التالية في خريطة الإعراب.

د- مفتاح الكلمة في طرفها الأول ، وبدايتها ، كيف ؟ إذا بدأت الجملة باسم كان مبتدأ، فاحتاج إلى الخبر (الجو جميل) الكلمة الأولى مبتدأ، إذا نحتاج له إلى خبر.

فإذا بدأ بفعل - ماضيا أو مضارعا أو من نوع الأمر - احتاج إلى فاعل ، وقد

تجد له بعض المفاعيل ، فإذا قلت : (أكل الولد البرتقالة) بداية الجملة فعل ، إذن هو بحاجةً إلى فاعل ، والباقي فضلة (البرتقالة) مفعول به.

فإن كانِ الفعل مبنيا للمجهول احتاج إلى نائب للفاعل ، ليس إلى فاعل (قفل المزاد) الفعل مبني للمجهول (المزاد) نائب للفاعل.

فإن كان الفعل ناقصا غيرَ تام ، مثل : (أصبح المؤمنون صائمين) المؤمنون : اسم أصبح ، صائمين هو الخبر ، منصوب بالياء.

التركيز إذن على بدء الجملة ومفتتحها ، من هذا الخيط نعرف كيف تسير الجملة وكيف تعرب ، ومن هذا نتوه ، نخلط ونضطرب.

هـ - وفي تعليم الإعراب نبدأ بالنماذج السهلة البسيطة (فعل + فاعل ، مبتدأ + خبر ، اسم كان واسمها خبرها) ثم ننتقل مع الطالب رويدا رويدا حتى النماذج الصعبة المعقدة.

و- وفي خريطتنا هذه التركيز على الأسس والأساسيات ، ومن أهمها من وجهة نظري ما يلي :

- التفرقة بين أنواع الكلمات : إذا كان المتعلم لا يفرق بين الأسماء والأفعال والحروف ، فأبشر بطول (توهان) يا مربع ، أو يا معرب ، ومن ثم فالمبتدأ لا يكون إلا اسما ، لا يأتي فعلا ولا حرفا البتة ، الخبر قد يكون فعلا - طبعا مع فاعله - وهكذا اسم كان ،هو من الأسماء فقط ، بدون هذه التفرقة وهذا التمييز من الصعب أن يفهم الإعراب.

- البدء في قصة الإعراب بالأسهل وبالكلي : البدء بالحرف ، إعرابه سهل بهل كان أستاذنا في الجامعة يحفظنا :

قاعدة كلية

الحروف كلها مبنية

إذا تعرف المتعلم على الحرف أكمل على الفور : (مبني) ثم نعلمه أن هذا الحرف لا محل له من الإعراب ، إذن أي حرف : مبني ، لا محل لها من الإعراب؟

الذي له محل من الإعراب الأسماء المبنية فقط والجمل ، مثل (هو يجري) هو مبتدأ مرفوع مبني في محل رفع لأنه مبتدأ (يجري) فعل وفاعل في محل رفع خبر.

فإذا بدأنا بالحرف على أنه المبني بلا محل من الإعراب ، سهل علينا أن ننتقل إلى الأسماء ؟ كلا ، إلى الأفعال ، إن إعرابها أسهل من الأسماء بكل توكيد ، كيف ؟ الفعل معظمه معظمه مبني ، الماضي مبني ، الأمر أيضا مبني ، نعلم الصغار هكذا ، الأمر والماضي مبنيان ، فقط هكذا ، وفي مرحلة لاحقة نعلم التلاميذ على أي شيء يبني الماضي ، على أي شيء يبنى الأمر ، نقول في مرحلة لاحقة ، فإن التعليم يحتاج إلى التدرج ، ولا يمكن للإنسان أن يتعلم كل شيء طفرة واحدة إلا إذا كان عبقريا ، لا يفرى أحد (فرية) بكسر الراء وتشديد الياء ، وفي نهاية الكلام عن إعراب الأفعال يأتي إعراب المضارع الذي يبنى هو الآخر ، إذا اتصلت من نون النسوة أو نون التوكيد ، ففي الأولى مثل : (النساء يعتكفن) المضارع مبني على السكون ، وفي مثل (لَنَسفعاً بالنَّاصِيَةِ) [1] المضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد.

ثم ندخل إلى باحة إعراب المضارع فنشير إلى أنه يعرب شرط أن لا تتصل به - بطريقة أو بأخرى - نون النسوة ولا نون التوكيد.

---

(١) ١٥ ، العلق.

وعند الانتهاء من الأفعال ندلف إلى الأسماء ، معظمها معرب ، نبدأ بالجر لماذا ؟ أسبابه محدودة معدودة ، هي :

- حرف الجر ، مثل (المفتاح في الباب).
- الإضافة (مفتاح الباب جديد).
- التبعية بأن يكون تابعا للمجرور في : (الصفة - التوكيد - العطف - البدل) مثل (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ [1] وَأَرْجُلَكُمْ) على قراءة الجر [2].

وبعد الجر يأتي الرفع الذي نجده في (الفاعل - نائب الفاعل - المبتدأ أو الخبر - اسم كان أو أحد أخواتها - اسم كاد وأخواتها) هو المسند إليه دوما إضافة إلى الخبر مثل : (جاء الرجل - فُتح الباب - النافذة مفتوحة - كانت الشموس ساطعة ...) الخ.

وفي النهاية المنصوبات لأنها الأكثر ، إذ تبلغ في بعض التقديرات خمسة عشر منصوبا مثل (المفاعيل - الحال - التمييز - خبر كان ...) الخ ، في حين نجد المرفوعات في حدود التسعة فقط.

إذن نبدأ في الأسماء بالمجرورات فهي الأقل ثم المرفوعات ، وأخيرا المنصوبات فهي الأكثر ، وهكذا نبدأ من القليل البسيط إلى المركب الأكثر ، وفي النهاية الأسماء المبنية وعلة بنائها.

معنى كل ما سبق من التركيز على الكليات والأساسيات ، الأسهل الأقل ، ثم الأكثر المتعدد ، كما يقول المثل العربي : (قطرة قطرة تملأ الجرة) شينا فشينا يتعلم أبناؤنا ، وليس طفرة وطيرانا على أجنحة ، كان رسول الله (ﷺ) يتخول أصحابه بالموعظة ، يتعهدهم في كل وقت وحين بالتدرج والاستمرار.

---

(١) ٦ ، المائدة.

(٢) وهناك حالة رابعة التي تسمى بالإتباع أو الجر على المجاورة ، هي شائكة بعض الشيء ، لذا ترجأ حتى يعجم المتعلم عوده ، ويقوى على فهمها ، وقد ناقشت هذه المسألة في رسالتي للدكتوراه.

ز- المنطقية والسببية : فالمتعلم قد يسأل لماذا تبنى الضمائر ، وهي أسماء ؟ بسبب صغر حجمها كأنها الحرف (تاء الفاعل - نا الدالة على الفاعلين - نون النسوة - واو الجماعة - ياء المخاطبة - هاء ضمير الغائب - ياء المتكلم...) كلها إما مكون من عنصر واحد ، أو عنصرين في الأكثرها ، صوت واحد أو أكثر قليلا ، ومن ثم ناسب أن تبنى كالحروف.

وقد يسأل المتعلم : لماذا يبنى المضارع على السكون إذا اتصل بنون النسوة وعلى الفتح إذا اتصل بنوني التوكيد - الثقيلة والخفيفة - أهذا ما يخص المضارع ؟ كلا ، كل فعل في الماضي أو الأمر أو المضارع إذا اتصل به واحد من الضمائر المتحركة بني على السكون ، هذه الضمائر ثلاثة : (تاء الفاعل - نون النسوة - نا الفاعلين) لكن لايدخل على المضارع من هذه الثلاثة غير نون النسوة ، لا يقبل (ت - نا) إذا أغنت عنهما حروف المضارعة ، كما سوف نشرح لاحقا.

وكذا في نوني التوكيد يبنى الأمر والمضارع على الفتح معهما ، أما الماضي فلا تلحقه نون التوكيد ، ولذا لا دخل له بالمسألة هنا.

وهكذا يجب أن نضع في اعتبارنا - نحن المعلمين - أن كلامنا يجب أن يكون منطقيا مبررا مسببا ، وليس على عواهنه.

ح- لدينا كتب في الإعراب ، ومعاجم تفيد ، فهناك مثلا كتب في إعراب القرآن ، مثل كتاب العكبري : (إملاء ما من به الرحمن من وجوه القراءات والإعراب) إذا أشكل عليك أيها القارئ كلمة من القرآن في إعرابها رجعت لهذا الكتاب أو أضرابه.

كنت اشرح لطلابي في (تربية المنصورة) أن العلم الموصوف بابن لاينون ، ولكن أحد طلابي النابهين سألني : ولكن في آية البقرة : (وَقَالتِ الْيَهُودُ : عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ) بتنوين عزيز؟ رجعنا إلى كتاب العكبري الذي قال لنا : إن عزيرا مبتدأ ، ابن : ليست صفة ، إنما هي خبر المبتدأ وكلمة (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه.

وبما أن (ابن) خبر وليست صفة فإن (عزيز) تنون ، هذه القراءة تدل على أن البنوة زائفة ، فبما أن (ابن) خبر فإنه يحتمل الكذب والصدق، وهؤلاء كذبوا في ادعائهم أن (العزير) ابن الله.

وهناك معاجم وكتب تعرب لك الأسماء الكثيرة التداول والكلمات ، مثل : (لاسيما وما بعدها - أي - كيف ...) الخ ، وهذه قد تكون كتبا نافعة ، وقد تتوسع قليلا أو كثيرا ، أو تختصر وتختزل ، وما على القارئ إلا أن يكتب على الحاسوب في الإنترانت (معجم الإعراب) أو (معاجم الإعراب) حتى تفاجأ بطوفان كبير من هذا النوع من الكتب.

ولكن ، هل فرغت يا صاحب دستور العربية من هذه الإفاضة وتيك الاستطراده حول الإعراب ؟ كلا ، كلا ، بقى في الجعبة شيء كثير ، ليس بالقليل اليسير ، فما هو يا رعاك الله ؟ إنه :

ط - ولا تنسى يا أخا العرب في الإعراب أن الإعراب ملزم في أركان الجملة فقط ، مثل : (الفاعل - نائب الفاعل - المبتدأ والخبر - اسم كان وخبرها) تعدد الإعراب أو تعدد الأوجه الإعرابية يتركز على حواشي الجملة وهوامشها ومكملاتها ، ولكن المثال المثال يا صاحب الدستور ؟ من هذا :

- المستثنى بخلا وعدا ، مثل (صام الناس عدا أخاه - ... خلا أخيه) هذا

المستثنى ينصب أو يجر ، إنه ليس من أركان الجملة الرئيسة ، إنه من الحواشي والمكملات.

- الاسم المرخم : لك فيه رأيان ، الأول أن تحذف الصامت الأخير وتبقي على الحركة التي قبله (يا مالك ← يا مالِ) بكسر اللام (يا جعفر ← يا جعفَ) بفتح الفاء ، لقد أبقينا على الحركة التي قبل الصامت المحذوف ، كما هي ، وتسمى هذه لغة من ينتظر ، من ينتظر باقي المنادي ، أي بدون حذف.

ولك أيضا أن تعامل المنادي المرخم ، كما هو ، وكأنه من البداية هكذا لم يحذف منه شيء ، وهذه لغة من لا ينتظر ، فنقول فيما سبق من الأسماء المرخمة (يا مالُ ـ يا جعف) كل بالضم.

ويبدو أن المنادى المرخم مر بمرحلتين تاريخيتين في لغة بني يعرب ، الأولى لغة من ينتظر ، أي بقاء حركة الاسم كما هيه ، وفي مرحلة تاريخية تالية جرد الاسم من حركته الأصلية ، وعومل على حالته الواقعة فضم آخره ، كما نفعل مع الأسماء الكاملة غير المرخمة ، أو قبل ترخيمها ، فكما تقول :

- يا مالكُ ، يا جعفر بالضم ، تقول عند ترخيمهما ، أو بعد ترخيمهما : يا مالُ ويا جعفرُ ، بضم الآخر في كليهما.

هذا الخلاف في الهوامش والمكملات ، في الترخيم أو الاستثناء أو غيرهما ، ليس أركان الجملة الركينة الرئيسة.

ي ـ وأعترف أنا ـ صاحب دستور اللغة العربية ـ بكل الصراحة بأن إحدى مشكلات النحو العربي المهمة هي في حشو وتفاصيل ينسى بعضها بعضا ، ويشوش

على أصلاب المواضيع ولبابها ، ليذهب إلى الحواشي والتفريعات وما لا يفيد ذكره ، ولا يضر هجره.

مثل ماذا يا فيلسوف ؟ مثل :

- أسباب رفع المبتدأ أو الخبر ، هل المبتدأ مرفوع بالابتداء وأن الخبر مرفوع بالمبتدأ ، فالعامل في المبتدأ معنوي وهو التجرد من العوامل اللفظية غير الزائدة وما أشبهها ، والعامل في الخبر لفظي وهو المبتدأ ، وذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ والخبر ترافعا ، أي كل واحد الآخر.

هذي التفاصيل خاصة في مراحل التعليم الأولى هي مضرة غير مفيدة ، تشوش على المتعلم ، وتبعده عن جوهر القضية وأصل الحكاية ، وهي: المبتدأ والخبر كلاهما مرفوعان.

- حالات المستثنى بإلا : (تام موجب - تام منفي - المنقطع) كل هذي التفاصيل وإعراباتها يجب أن تختزل وتختصر إلى شكل مفهوم محدد ، دون أن تستغرقنا التفاصيل التي لا تسمن ولا من جوع تغني وتنفع.

هذه أمثلة عجلى فقط ، ولعلنا في المواد القادمة من الدستور ، نتعرض لهذي النقيطة ممدين القارئ بأمثلة أخرى.

ك - فمما لا ريب فيه ولا شك أن هناك من المعالم الرئيسة والمبادئ البينة ما هو أهم من هذي التفاصيل والحواشي ، تقع في أصلاب القضية مثل ماذا ؟ مثل : الفاعل عمدة ، لا يجوز حذفه ، فالفعل والفاعل كجزأي كلمة : لا يستغني بأحدهما عن الآخر ، لكن الفاعل يمكن أن يستتر ، مثل (اكتب ما يملي عليك - كتب ما يملى

عليـه - يكتب ما يملى عليه) الفاعل مستتر في كل الأمثلة ، في المثال الأول تقدير الفاعل (أنت) وفي المثالين الآخرين (هو).

والآن الآن إلى المادة التالية من دستور العربية.

المادة السادسة والثلاثون

{٣٦}

نظام الإعراب في العربية لا نظير له بين لغات العالم ، ولا شبيه من بعيد ولا من قريب.

وقبل أن نفسر لقارئ دستور العربية ونوضح تميز نظام الإعراب في لسان بني يعرب نتحف القارئ باقتباسين مهمين ، من العلامة العقاد ، ثم الدكتور إبراهيم أنيس ، رحمه الله ، أو رحمهما الله :

١ ـ العقاد : في كتاب اللغة الشاعرة [١] يقول الرجل :

يرى بعض مؤرخي اللغات أن الإعراب في العربية أثر من آثار استخدام الحركة vowel في التعبير عن المعنى ، لقد تفرد ت لغة بني يعرب بهذه الخاصية الفنية.

وبرغم وجود أشكال من الإعراب في بعض اللغات الأوربية كاللاتينية ، أو في بعض اللغات العروبية ـ التي تسمى بالسامية ـ كالعبرية والحبشية [٢] ، أو في بعض اللهجات المهجورة كالمصرية القديمة على عهد الفراعنة ، إلا أن الإعراب العربي واف مقرر القواعد ، يعم أقسام الكلام أسماء وأفعالا وحروفا حيثما وقعت بمعانيها

---

(١) ص ١٥ بتصرف.

(٢) لا ننسى أن كلتا اللغتين خرجتا من عباءة العربية.

من الجمل والعبارات ، ولا يزيد الإعراب في اللغات الأخرى غير العربية عن إلحاق طائفة من الأسماء والأفعال بعلامات الجمع والإفراد ، أو علامات التذكير التأنيث ، وما زاد على ذلك فهو مقتصر على مواضع محدودة ، ولا يصاحب كل كلمة ولا كل عبارة ، كما يصاحب الكلمات العربية حيثما وقعت بين عباراتها.

٢- د. إبراهيم أنيس [١] : تحت عنوان : (قصة الإعراب) جاء ما يلي :

بقايا من الإعراب نجدها في العبرية ، ثم في اليونانية القديمة واللاتينية ، على أن نظام الحالات الإعرابية في اللغات الهندية ـ الأوربية نظام معقد ، ذو اتجاه خاص لا يصح أن يقارن به نظامنا العربي ، هذا النظام الهندي الأوربي تغلغل في كل اللغات القديمة لهذه الفصيلة كالنسكريتية ـ الهندية القديمة ـ واليونانية ، واللاتينية ، وبقيت آثاره ورواسبه في بعض اللغات الأوربية الحديثة ، مثل :الألمانية ، والفنلندية ، واللتوانية وغيرها [٢].

ويضيف الدكتور إبراهيم أنيس : ولعل القرآن الكريم والتراث العربي والشعر من أسباب بقاء نظام الإعراب العربي ـ كما هو ـ ولعل بقايا الإعراب في اللغات الأخرى مقتبسة من العربية ، فلا تكاد تخلو لغة أوربية من أثر للنظام العربي مهما كان ذياك الأثر ضئيلا أو دقيقا يحتاج إلى الغوص عنه.

ولعل أهم فرق بين رموز الأسماء اللاتينية وبين حركاتنا الإعرابية أن الرموز اللاتينية لا تسقط مطلقا من نهاية الأسماء حين الوقف عليها ، كما يحدث للحركة الإعرابية على لسان بني يعرب.

(١) من أسرار اللغة ، القاهرة ١٩٥١ ، ص١٣٥.
(٢) عندما كنت في أكرانيا ٩٨ ـ ١٩٩٩م ، ذكروا لي أن الروسية فيها شيء من الحالات الإعرابية.

وعليه فإنا نخرج من هذين الاقتباسين بما يلي :

١- الإعراب في العربية نظام كامل متكامل في مرحلة من النضج والكمال والاكتمال.

٢- في اللغات الأخرى شيء من الإعراب ، أو قل بقية ، لعلها مقتبسة من العربية ، أو جائية من العربية ، ونحن في دستور اللغة العربية نوكد - بما لي من معرفة بالعبرية - أن ما فيها من بقايا إعراب لا يسمن ولا يغني من جوع، عله قد جاء من العربية ، إذ إن هذي اللغة نفسها قد خرجت من عباءة العربية.

ليس العبرية فقط التي جاءت من لغة بني يعرب ، بل الحبشية - القديمة والحديثة - كل جاء من لهجة عربية يمانية ، وهذا ما لا شية فيه ولا ريب بين الباحثين .

أما اللغات الأخرى الهندية الأوربية - سيما اللاتينية التي انقرضت - فهي الأخرى ليس فيها نظام إعرابي كامل متكامل ، إنما هو بقايا نظام قديم ، لعله اقتبس من العربية ، وإن كان هذا يحتاج إلى بحوث حديثة وصفية لهذي اللغات ، ثم تقابلية تقارن بين الإعراب عندنا وبين بقاياه وظلاله في اللغيات الأخر.

وإن كنت أتصور أنها بقايا كتلك التي نجدها في العاميات المصرية ، فإنه طبقا لنظرية الدكتور مهدي[1] علوش التي ترى أن كل فصيح على ألسنة مثقفي العربية فيه شيء من العامي والعكس صحيح ، فكل عامي فيه شيء من الفصيح أو بقايا فصيح ، ومن هذه البقايا الفصيحة شيء من الإعراب ، كما نقول مثلا :

- شكرا ، خيرا.
- السلام عليكم.
- بسم الله الرحمن الرحيم.

---

(١) اللغة العربية في الولايات المتحدة، ترجمه د. أحمد أبوالخير - د. أحمد فريد، القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٢.

هذي بقايا من الإعراب - هي شيء من الفصيح - محشور في العامية المصرية مثلا.

٣- هذي البقايا الإعرابية في اللغات الأخرى لا تغيب في الوقف ، ما يدل على أنها بقايا نظام ، وليست نظاما متكاملا ، أخذ به ، حيث إن النظام الإعرابي العربي يحجب الحركة الإعرابية في حالات ، منها الوقف ؛ لأسباب ومبررات منطقية وقوية سوف نفصلها ونبسطها أمام قارئ الدستور أو متصفحه.

والآن سوف نترك هذي البقايا التي بقيت لنتحدث عن نظام الإعراب في لسان بني يعرب وأسس وأركان هذا النظام ، وهي كما يلي:

أولا : إن هذا النظام فريد بين اللغات ، لا نظير له ، ولا شبيه ، هو نظام متفرد متميز.

ثانيا : الإعراب في العربية له نظام محدد ، ليس فوضى ، ولا سبهللة ، العبقري (ابن جني) في خصائصه [1] يلخص المسألة فيما يلي.

تحت عنوان : (رفع الفاعل ونصب المفعول) يقول أبو الفتح : إنما فعل ذلك للفرق بينهما ، فلم اختير الرفع للفاعل ، والنصب للمفعول ، ولم يحدث العكس ؟ لأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد ، وقد يكون له مفعولات كثيرة ، فرفع الفاعل لقلته ، ونصب المفعول لكثرته ؛ ليقل في كلامهم ما يستثقلون ، ويكثر في كلامهم ما يستخفون.

وفي مكان آخر يقول ابن جني [2] : جميع ما جاء من الكلم على حرف واحد عامتها على الفتح إلا الأقل ، وذلك نحو : واو العطف والفاء ولام الابتداء وكاف

---

(١) ٤٩/١.
(٢) الخصائص ٧١/١.

التشبيه وغير ذلك ، وقليل مكسور كباء الجر ولامه ولام الأمر ، ولا نجد في الحروف المنفردة ذوات المعاني ما جاء مضموما ، ولا يعتد بهمزة الوصل المضمومة نحو : اقتل ، استقصي ... لأنها تسقط في الدرج .... اهـ.

ولأن همزة الوصل جزء من الكلمة ، ليست جزءا مستقلا ، لا حرفا ولا غيره.

وهكذا اختارت العربية الفتحة أسهل الحركات وأكثرها مرونة للمفعولات وللفضلة : (المفعول به ـ المفعول المطلق ـ المفعول لأجله ـ المفعول فيه أو الظرف ـ المفعول معه) ثم : (الحال ـ التمييز ـ اسم إن وأخواتها ـ اسم لا النافية للجنس ـ المستثنى ـ خبر كان وكاد وأخواتهما ـ المنادى ـ المنصوب على الاختصاص ـ الإغراء والتحذير) على تفصيل في بعض المنصوبات نطالعه في مصادر النحو ومظانه.

كثره كاثرة كما نرى هي المنصوبات ، المرفوعات أقل من هذا بكثير، ربما تصل إلى نصف عديدها ، وهي : (الفاعل ـ نائب الفاعل ـ المبتدأ والخبر ـ اسم كان وأخواتها ـ اسم أفعال المقاربة ـ اسم ما يعمل عمل ليس ـ خبر إن وأخواتها ـ خبر لا النافية للجنس).

واختارت العربية الكسر للجر بأسبابه المختلفة ـ كما سيأتي تفصيله ـ كما اختارت الفتحة لنصب الفعل الوحيد الذي يعرب وبشروط ، المضارع يعرب من بين أخويه الأمر والماضي ، شرط أن لا تتصل به نون النسوة ونونا التوكيد ، واختارت الضمة للرفع ، كما اختارت السكون للجزم حتى يتميز الفعل المعرب عن الاسم المعرب.

المضارع الناقص يرفع بالضمة المقدرة ، ويجزم بحذف (حرف العلة) أو بمعنى أدق تقليص الحركة الطويلة إلى قصيرتها (يدعو ← لم يدعُ ـ يرمي ← لم

يرم - يُشتهى ← لم يشتهَ) النصب بالفتحة الظاهرة على الياء والواو، والفتحة المقدرة على ألف (الفتحة الطويلة).

أما المضارع المتصل بالضمائر (واو الجماعة - ألف الاثنين - يا المخاطبة) فقد رفع بثبوت النون ، ونصب وجزم بحذفها.

المثنى : اختارت العربية الرفع بالفتحة الطويلة (ألف المد) والياء للنصب والجر ، وفي جمع المذكر السالم غيرت في الرفع ، فاختارت لهذا الجمع الواو للرفع ، حتى ينمازعن المثنى ، وفي النصب والجر جعلت الياء اللينة المفتوح ما قبلها للمثنى، في حين جعلت ياء الجمع المذكر ياء مدية (كسرة طويلة) ليست ياء لينة ساكنة ، مفتوح ما قبلها.

وفي الأسماء الخمسة استخدمت الحركات الطوال ، الضمة الطويلة للرفع ، الفتحة الطويلة للنصب ، الكسرة الطويلة للجر (أبوها / أباها / أبيها).

الأفعال المبنية كانت الماضي (وأصل البناء فيه على الفتحة) والأمر وأصل البناء فيه على السكون - على تفصيل مقرر في كتب النحو - ثم الأفعال الثلاثة بما فيها المضارع إذا اتصلت بنوني التوكيد بني الفعل أيا كان نوعه على الفتح ، ومع نون النسوة - إضافة إلى تاء الفاعل ونا الفاعلين - البناء على السكون ، مع وجوب الإشارة إلى أن هذين الأخيرين لا يلحقان المضارع ولا الأمر ، إنما يلي النوعين من الأفعال من تيك الضمائر الثلاثة واحد فقط ، هو نون النسوة ، ومع نون النسوة وأخويه - تاء الفاعل ونا الفاعلين - الأفعال كلها مبنية على السكون.

بقي لدينا الأسماء الممنوعة من الصرف ، ترفع بالضمة وتنصب وتجر بالفتحة ، إلا إذا كانت معرفة بأل أو الإضافة فإنها تجر بالكسرة ، هنا أيضا ميل إلى

الفتحة ، في النصب ، وفي الجر أيضا.

بقى المجموع بالألف والتاء ، ينصب ويجر بالكسرة ، فلماذا عدلت العربية ـ هنا ـ عن الفتحة إلى الكسرة ؟ بسبب الفتحة الطويلة ـ ألف المد ـ قبلها ، إذ أرادت العربية أن تنوع في الحركات فتأتي بكسرة قصيرة بعد الفتحة الطويلة بدل فتحة قصيرة قبلها فتحة طويلة.

وهكذا نجد العربية في إعراب الأسماء والأفعال وبنائها ، وكذا في بناء الحروف تميل إلى الفتح ثم الكسر ثم الضم ، مع الإقرار بوجود السكون في البناء (منْ ـ هل) وفي الأمر (اكتب ـ اسكت) وفي الإعراب حال جزم المضارع صحيح الآخر من غير الأفعال الخمسة ، علما أن السكون ليس حركة البتة ، إنما هو عكس الحركة ، استخدم في البناء والإعراب ـ أحيانا ـ لكنه في زاوية ضيقة ، إذ الأصل في الإعراب الحركة ـ قصيرة أو طويلة ـ وكذا البناء ، بقى السكون في زاوية ضيقة من الإعراب والبناء.

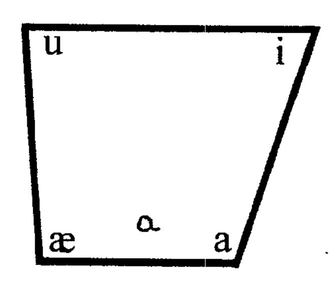
مما يشار إليه أيضا أنه إضافة إلى المنصوبات والمرفوعات والمجرورات التي ذكرت فإنما يضاف إليها توابع ما ذكر ، أي (الصفة ـ البدل ـ التوكيد ـ العطف) كما سيأتي تفصيله ، وتفصيصه.

وعليه وبناء على ما سبق نعيد ما قلناه من أن نظام الإعراب في عربية بني يعرب متميز متفرد على غيره في لغات العالم ، حيث الإعراب فيها يبدو بقايا نظام يمكن أن يكون مقبوسا من العربية ، وهذا ما أوكده في حق العبرية والحبشية اللتي كانتا في الأصل لهجة عربية ، إنه بناء على كل ما سلف نستطيع القول بأن خصائص نظام الإعراب في عربيتنا :

أولا : مالت العربية إعرابا وبناء إلى الفتح ، فهو أخف الحركات العربية وأكثرها مرونة ، فالفتحة حركة متسعة وسطى ، الشفتان محايدتان في نطقها ، شديدة المرونة في نطقها ، إذ هي أمامية عندما تأتي بعد صامت مرقق (كتبَ) خلفية إذا جاءت بعد صامت مطبق (ص - ض - ط - ظ) مثل الفتحتين بعد الضاد والطاء في مثل (ضبط) وهي أيضا وسطى إذا جاءت بعد صوت مفخم (ق - غ - خ) الفتحات الطويلة في (قابل - غادر - خادع).

وهكذا تجد الفتحة العربية شديدة المرونة (السهولة) وفي عملية الاستخدام مطيعة ومطواعة ، تليها الكسرة التي يتحرك عند نطقها الجزء الأمامي من اللسان ، الكسرة حركة أمامية ضيقة تنفرج في نطقها الشفتان، في حين الضمة حركة خلفية - ضيقة أيضا - لكن تنضم في نطقها الشفتان ، ولذا سميت بالضمة نسبة إلى ضم الشفتين.

نحن نتصور أن حركة اللسان من الأمام - خاصة في طرفه ووسطه - أسهل من حركة اللسان من الخلف والقاعدة ، لاحظ :



i = الكسرة ، u = الضمة.

a = الفتحة المرققة. ɑ = الفتحة المفخمة. æ = الفتحة المطبقة.

يلاحظ أن الفتحة العربية - طويلة أو قصيرة - مرنة جدا ، فهي مع الترقيق أمامية ، وبعد الأصوات المطبقة خلفية ، وبعد الصوامت المفخمة وسطى ، أما الكسرة والضمة - وكلتاهما حركة ضيقة - تمتلكان ذات الخاصية من المرونة والسهولة ولذا مالت العربية إليها إعرابا وبناء، تلتها الكسرة ، وأخيرا الضمة الأصعب نطقا بسبب ارتفاع الجزء الخلفي من اللسانِ ، على عكس ارتفاع الجزء الأمامي ، إذ هو أسهل من حركة الجزء الخلفي ، ولكن العربية - برغم هذا - لم تنس السكون فخصته بجزم المضارع وبناء الأمر وبعض الأسماء والحروف ، وهكذا.

إذن ففي نظام الإعراب العربي :

- الرفع للعمدة.
- النصب للفضلة.
- الجر للمضاف إليه وبعد الحرف ... الخ.

الفتحة هي الأسهل فانتشرت وذاعت في الإعراب والبناء - في الأسماء والأفعال والحروف - تليها الكسرة ثم الضمة ، إذ هي الأكثر صعوبة ، ولذا أعطتها للأكثر أهمية ، وهو العمدة (الفاعل ، نائب الفاعل ...) الخ.

وعندي تحفة طريقة أهديها لقارئ الدستور،ماهي، يرحمك الله؟

انظر - يا عربيا من بني يعرب - إلى جمع (سرير) إنه أسرة وسرر[1] بضمتين متتاليتين ، للسين والراء ، ولكن هذا الجمع ورد بفتح الراءِ بدل الضم ؟ استثقالا لاجتماع الضمتين مع التضعيف، وانتهاء الكلمة براءين ، هل هذا المثال فقط ؟ كلا ، ما أشبهه من الجمع مثل (ذليل) ذلل بضمتين للذال واللام ، هذه اللام التي تفتح

(١) الصحاح مادة (س ر ر) .

تخفيفا ، أو قل فرارا من تتابع ضمتين وتواليها مع تماثل الصامتين الأخيرين (الرائين واللامين) ألم أقل لك : إن العربية تميل إلى الفتحة ، وتفرمن الضمة، فما بالك بضمتين متواليتين.

ثانيا : وفي نظام الإعراب في عربية بنى يعرب مزج بين الحرية والالتزام، العربية لم تترك الأمور فوضى سبهللة ، ولم تقيد المتكلم والكاتب ، فتضرب على الأفواه والأقلام قيودا ثقالا ، لا تحتمل ، بل مزجت الأمرين ، الحرية والالتزام ، كيف ؟

الإعراب في العربية مسألة هينة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، كما قلنا :

- الحروف كلها مبنية ، قاعدة كلية ، بلا محل من الإعراب.
- الأفعال كلها مبنية عدا المضارع إذا لم تتصل به النسوة ، ولا نون التوكيد.
- الأصل في الأسماء الإعراب ، وما بني منها له محل من الإعراب، فلماذا بنيت تيك الأسماء ، وأعربت الأخرى ، أومتى يبنى الاسم ؟ يبنى الاسم إذا أشبه الحرف ، في أي شيء ؟ في أربعة أشياء هي :

١- شبهه في الوضع كالاسم الذي يتكون صامت (حرف واحد) وحركة قصيرة ، مثل تاء الفاعل ، أو صامت وحركة طويلة + (حرفين) مثل (أكرمنا) نا الدالة على الفاعلين ، بل الاسم قد يتكون من عنصر واحد ، صامتا أو حركة مثل الهاء والكاف عند الوقف (كتابهْ - كتابكْ) فالهاء والكاف كلاهما اسم مبني في محل جر للإضافة ، ومن الحركة ياء المتكلم (إني - كتابي) كسرة طويلة أو ياء مد ، يمكن أن تنطق ياء مفتوحة فتتكون من عنصرين (إنيَ - كتابيَ) بفتح الياء في الكلمتين.

٢- شبه الحرف في المعنى مثل (متى - كيف - أين) لأنها أشبهت حرف الاستفهام ، الهمزة.

٣- شبه الحرف في الافتقار اللازم إلى غيره ، مثل اسم الموصول المفتقر إلى الصلة.

٤- النيابة عن الفعل وعدم التأثر بالعامل في أسماء الأفعال (صه - مه - أدراك).

ومن ثم نجد البناء للضمائر وأسماء الشرط [١] والاستفهام وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ، وأسماء الأفعال ، وفي الجهة المقابلة يعرب الاسم الذي لا يشبه الحرف بأي وجه من الوجوه الأربعة.

إضافة إلى صيغ بعينها مثل (أحد عشر - بين بين - بَيت بيت) لشدة الارتباط بين الكلمتين ، أو العلم الأعجمي المختوم ، وبه (سيبويه - نفطويه) أو سب الأنثى (يا لكاع - يا خباث) بالبناء على الكسر [٢].

أهذا فقط ؟ كلا ، إن الحركة الإعرابية تحجب وتسقط في حالات كثيرة منها :

١- في الوقف ، لا إعراب ولا تنوين ، هما حالتان من حالات الوصل والوقف ، فلم يحجب الإعراب والبناء في الوقف ؟ إيذانا بانتهاء المتكلم من كلامه ، وعندها حق للسامع أن يجيب وأن يتكلم ، إنه تمييز بالسلب والحذف ، وليس بإضافة عنصر زائد على الجملة ، تماما كما ميزت العربية المضاف المفرد بحذف التنوين ، والمثنى والجمع المذكر بحذف النون.

ويرى أستاذنا المرحوم الدكتور رمضان عبد التواب أن فصحى بني يعرب قد جمعت بين نظامين للوقف كانا في اللهجات القديمة ، هما :

---

(١) شرح ابن عقيل ، القاهرة ٢٠٠٥ ، ص١٧ - ١٩.

(٢) راجع كتابنا - الصرف العربي والنحو ، ص١٠١ وما قبلها.

- الوقف بالسكون على الكل (جاء محمدْ ـ رأيت محمدْ ـ مررت بمحمدْ) كل بالسكون.
- الوقف على الحركة الطويلة في كلٍ (جاء محمدو ـ رأيت محمدا ـ مررت بمحمدي) بواو مد في الرفع ، وألف مد في النصب ، وياء مد في الجر.

اختارت العربية السكون للمرفوع والمجرور ، واختارت الفتحة الطويلة للمنصوب ، مرة أخرى مال الإعراب في عربية بني يعرب إلى الفتحة ، وإن كانت طويلة ، وتخلصت من الضمة والكسرة الطويلتين ، في النهاية مالت العربية إلى الفتح ، الحركة الأسهل الأشد مرونة مقارنة بأختيها الضمة والكسرة.

إن الإعراب ـ وكذا التنوين ـ يحجبان في الوقف ، إذ هما مختصان بالوصل دون الوقف.

٢- حروف المعجم حين تنطق مفردة أيضا يحجب عنها الإعراب ـ وكذا التنوين نقول : (ألفْ ـ باءْ ـ تاءْ ـ جيمْ ـ حاءْ ...) كل بسكون الآخر ، وهكذا. جاءت في القرآن الكريم كله ساكنة الآخر عين منونة.

وفي حروف المعجم نكتة طريفة ففي قراءة أبي جعفر (ت ١٣٠هـ) العشرية السكت على نهاية هذه الحروف ، إنها لا تنطق (ألف لامَيم) بل : (ألفْ ← سكت ـ لام ← سكت ـ ميمْ ← سكت) هذا السكت صورة من المفصل ، أو الفصل بين الحروف ، ما يوكد الشخصية المستقلة لكل حرف ، هذا يذكر بالحديث : (لا أقول ألف لام ميم حرف ، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف).

٣- وفي العد حين نعد : واحدْ ـ اثنانْ ـ ثلاثة ـ أربعة ... الخ ، كما في حروف المعجم حين تنطق مفردة ، لا إعراب ولا تنوين.

٤ـ هل هذا فقط هي صور حجب الحركة الإعرابية ؟ كلا ، مثل ماذا يا صاحب الدستور ؟ مثل حركة الإتباع التي تحجب الحركة الإعرابية وتحتنكها ، يعبر عن هذا العبقري ابن جني تعبيرا أخاذا ساحرا إذ يقول :

(هجمت حركة الإتباع على حركة الإعراب فابتزتها موضعها) هل عندك شواهد غير (هذا جحر ضب خرب) ؟ عندي ومن القرآن الكريم.

في قوله تعالى : (.... لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا) وقعت في خمس سور من القرآن الكريم هي : (البقرة والأعراف والإسراء والكهف وطه) روي عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع (ت ١٣٠هـ) وهو من القراء العشرة أنه قرأها في جميع مواضعها الخمسة بضم التاء في كلمتي (للملائكة) حالة الوصل.

معنى هذا أن أبا جعفر إذا لم يصل ، أي إذا وقف على (... للملائكة) لم يضم التاء ، فعند الوقف لا إعراب ـ ولا تنوين ، فلماذا ضمها في الوصل وحقها الكسر ، كما قرأها غيره ؟ (إتباعا لضم الجيم) كما يقول البنا الدمياطي [1].

جاءت الضمة في كلمتي (للملائكة) إذن تأثرا بضمة الجيم في (اسجدوا) ثم الضمة الطويلة بعد الدال ، هذا هو الإتباع، التأثر بحركات أخرى غير حركة الإعراب أو كما قال ابن جني : (هجمت حركة الإتباع على حركة الإعراب فابتزتها موضعها) شاهد من القرآن الكريم على حركة الإتباع وتأثيرها في حركة الإعراب.

٥ـ ولا ننسى أيضا الإدغام الكبير ، حيث تحذف حركة الإعراب قبل الإدغام ، ولذا سمي بالإدغام الكبير ، كما جاء في القرآن الكريم :

---

(١) إتحاف فضلاء البشر ، ص١٣٤.

- (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ [1]) بإسكان الباء في آخر كلمة (الغيب) لتدغم في الباء الأولى من (بضنين) لقد سقطت كسرة الجر من الكلمة الأولى.
- (نُسَبِّحَكَ كَثِيراً) سقطت فتحة بناء الكاف ، فأدغمت [2] الكاف في الكاف.

هذان شاهدان من حجب الحركة الإعرابية في الإدغام الكبير، والذي اشتهربه أبو عمر بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ) وهو من القراء السبعة.

٦- وفي جعبتي للقارئ شيء ، قد يكون مفاجئا لبعض القراء ، ما هو يرحمك الله ؟ إنه الاستغناء - تماما تماما - عن الحركة الإعرابية ، هذا اقتباس من كتاب (إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع العشر) للبنا الدمياطي [3].

واختلف في همز بارئكم معا ، وراء يأمركم المتصل بضمير جمع المخاطب ، وتأمرهم ويأمرهم ؟ مخاطب أو غائب ، متصل بضمير ، وينصركم مطلقا ، ويشعركم حيث وقع ذلك مرفوعا ، فأبو عمرو - من أكثر الطرق - بإسكان الهمزة والراء وهي لغة بني أسد وبعض نجد ، طلبا للتخفيف عند اجتماع ثلاث حركات ثقال ، من نوع واحد ، كيأمركم ، أو نوعين كبارئكم ، وإذا جاز إسكان حرف الإعراب في الإدغام - أي الكبير - للتخفيف فإسكانه - هنا - أولى ، انتهى كلام الدمياطي.

أ - في قوله تعالى في سورة البقرة (فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) [4] كلمة (بارئكم) التي تكررت مرتين في الآية هي مجرورة في موضعيها ، لكن كسرة الجر حذفت أو سقطت ، هذا نوع من التخفيف ، أو التخفف من الحركة.

---

(١) ٢٤ ، التكاثر.
(٢) السابق ، ص٢٤.
(٣) ص١٣٦.
(٤) ٥٤ ، البقرة.

ب- الأفعال (يأمر - ينصر - يشعر) في بعض السياقات تسقط ضمة الرفع فقط ، لكن المؤلف نفسه أورد مثالا واحدا فقط ينتهي بالفتحة - أي فتحة النصب - هي (تأمرنا) منصوبة ، أي أن الحركة التي حذفت هي الضمة أولا ، ثم الكسرة ، وهذا ما يتسق مع ما قلنا - سلفا - من ميل العربية نحو الفتح ، وتحاشيها للضم ثم الكسر.

جـ- إن المؤلف قدم مبررا معقولا جدا ، هو اجتماع ثلاث حركات - غير مرغوب فيها - هما الضمة والكسرة ، لكن الفتحة نجت من الحذف والحجب لخفتها.

د- نحن أمام نوع من التخفف من الحركات المرغوب عنها في إعراب عربية بني يعرب ، الحركة الإعرابية ، إذن ليست مقدسة ، ولا هي راعبة مرعبة بحال من الأحوال.

٧- وفي عربية بني يعرب منطق دقيق ، وإمكانيات واسعة مع تجنب اللبس وسوء الفهم أو شيء من الوهم ، كيف بالله عليك ؟ يصح لك أن تقدم المفعول - مثلا - على الفاعل ، إن كان هناك إعراب ظاهر يفرق الفاعل - وإن أخر - عن المفعول - ولو قدم - يصح القول :

- هزم المسلمون المشركين.
- هزم المشركين المسلمون.

ويصح أيضا :

- قابل محمد عليا.
- قابل عليا محمد.

علامتا الرفع والنصب فرقتا الفاعل عن المفعول ، ولو تأخر الأول وتقدم الأخير ، فإن غابت علامات الإعراب الظاهرة ، فكانت مقدرة في الفاعل والمفعول فلا

يصح تقديم المتأخر ، وتأخير المتقدم ، مثل :

- ضرب موسى عيسى.

لابد أن يكون الأول الفاعل ، والمؤخر المفعول ، قطعا ولزما ، قولا واحدا ، لا ثاني له ، فإن قامت قرينة غير إعرابية جاز التقديم رغم غياب العلامات الإعرابية الفارقة بين الفاعل ومفعوله ، مثل :

- أكل عيسى الكمثرى.
- أكل الكمثرى عيسى.

فالفاعل في الجملتين (عيسى) والمفعول (الكمثرى) برغم غياب الإعراب الظاهر ، حيث جاء المنطق الباده ليدل دلالة قاطعة على كل المفعول والفاعل ، بلا أدنى ريب ، ولا شك.

وفي العربية مثال طريف غاية الطرافة ، إذا بلغ المنطق والفهم قمته سحبت العربية الإعراب ، وتآكل حتى انتهى ، ما هو هذا المثال يرحمك الله ؟ إنه أمثلة طريفة ، غاية الطرافة ، منها :

- خرق الثوبُ المسمارَ
- كسر الزجاجُ الحجرَ

بضم الباء في كلمة (الثوب) وفتح الراء في (المسمار) وكذا في الزجاج والحجر، فهل يمكن أن يخرق الثوب المسمار ويكسر الزجاج الحجر ؟ كلا وألف كلا إن عربية بني يعرب تقول لك : أعمل عقلك ـ هنا ـ وفكر ، هل يمكن للثوب أن يخرق المسمار ؟ كلا ، بل المسمار هو الذي يخرق الثوب.

تماما كما نقول (دهس الطفلُ الشاحنة) المنطق والبداهة والفراهة و(المفهومية) تجبر على أن اليقين اليقين أن الشاحنة هي التي تدهس الطفل ، وليس العكس ، برغم أن ظاهر الإعراب يمكن أن يشير إلى أن الطفل هو الذي دهس الشاحنة.

المنطق العام هنا والفهم غير السقيم قد حجب الحركة الإعرابية ، وفهم المقصود ونأى عن التصور غير الصحيح عندما اتكأ على الفهم والعقل ولم تخدعه ، ولا يمكن أن تخدعه حتى حركات الإعراب الظاهرة ، أو قل ولو كانت ظاهرة ظاهرة بادية لكل ذي عينين.

٨- الإعراب ليس قيدا محكما على فم المتكلم وقلم الكاتب ، بل هو يشبه علامات للساري على الطريق ، أو في واضحة النهار ، علامات هادية ومضيئة وموجهة في طريق الناس ، لا عقبات توضع في طريقهم ، ولذا فإن المتكلم ـ وكذا الكاتب ـ في كثير من الأحيان هو سيد قراره ، أو هو سيد القرار ، يختار ما يختار بحرية واختيار ، وهذه أمثلة نقدمها إلى قارئ دستور اللغة العربية.

أ ـ يجوز قطع النعت عن المنعوت ، فيرفع هذا المنعوت على إضمار مبتدأ ، أو ينصب على إضمار فعل ، تقول :

- قصدت إلى محمد ، الكريمُ ـ بالضم ـ أي هو الكريمُ.
- قصدت إلى محمد ، الكريمَ ـ بالفتح ـ أي : أقصد الكريمَ.
- قصدت إلى محمد الكريم ، بكسر الميم ـ فكلمة (الكريم) صفة مجرورة (نعت) لمحمد.[1]

---

(١) راجع : الكامل لأحمد صفوت ٢/١٢٠.

هذه اختيارات أمام المتكلم ، والقارئ ، ما بين الرفع والنصب ، أو الجر.

ب- في العطف يمكن تكرار حرف العطف ، ويمكن عدم تكراره بذكره مرة واحدة ، مثل :

- (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ) (١) في قراءة من جر (أرجلكم) أي : امسحوا برؤسكم وبأرجلكم.
- (وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) (٢).

فيستطيع القارئ والكاتب أن يقولا :

- آمنت بمحمد ودينه ، أو :
- آمنت بمحمد وبدينه.

المتكلم هنا سيد قراره ، الكاتب هنا سيد اختياره.

جـ - الاسم الواقع بعد لاسيما يصح أن يرفع أو ينصب أو يجر ، إلا إذا كان معرفة، فإن يرفع ويجر فقط ، لأنه ينصب على أنه تمييز ، والتمييز لا يكون إلا نكرة ، وعليه يمكن أن يقال :

- أحب الناس ، لاسيما الكريمُ - بالرفع - أو الكريم ، بالجر.
- أكره المتكبرين ، لاسيما جاهلا ، ويصح (جاهل) بالرفع ، أو (جاهل) بالجر.

د- وإذا انقضت جملتان (٣) ، وجئت بجملة ثالثة ، بدأت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو، فلك في هذا الفعل الجزم والرفع والنصب ، منتهى الحرية ، وهذي بعض أمثلة.

---

(١) ٦ ، المائدة.
(٢) ٢١٧ ، البقرة.
(٣) أوضح المسالك ٢١٣/٤.

- (.... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ....) [1] ، لك في الفعل (يغفر) الرفع ، وقد قرأ به عاصم ، وقرأ غيره بالجزم ، وقرأ ابن عباس بالنصب.
- (مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [2] ، قرئ الفعل (ويذرهم) بالرفع والنصب والجزم.

وأضيف أيضا : إذا توسط المضارع بالفاء أو الواو بين الجملتين ، فالوجه الجزم ، ويجوز النصب :

ومن يقترب منا ويخضع ، نؤوه   ولا يخشى ظلما ما أقام ولا هضما.

هـ - في التمييز من حق المتكلم - أو الكاتب - أن يقول :

- اشتريت قنطارا قطنا

أو قنطارا من القطن

أو قنطار قطن

- بعت فدانا من الأرض

أو بعت فدان أرض

أو بعت فدانا أرضا

كل هذي إمكانيات تتيحها العربية ، ولا يقف نظام الإعراب في العربية حجر عثرة في وجه اختيار المتكلم أو الكاتب.

و- وفي الترخيم - وما أدراك ما الترخيم - من حقك أن تقول :

- يا مالك ← يا مالِ ، بكسر اللام.
- يا مالك ← يا مالُ ، بضم اللام.

---

(١) ٢٧٤ البقرة.
(٢) ١٨٦ الأعراف.

في الحالة الأولى : (يا مالِ) بكسر اللام هي لغة من ينتظر ، أو من ينوي ويشير إلى أن المنادي له تكملة ، فهذه الحركة الأخيرة ـ أي الكسرة ـ هي كسرة الكلمة ، ليست كسرة إعراب ، ولا بناء.

فإن كانت حركة بناء أو إعراب ـ أي : (يا مالُ) مبني على الضمة في محل نصب ، فهذي لغة من لا ينتظر ، أي يعتبر المنادي كأنه على هذا الحال من البداية ، تسطيع أيها العربي إذن أن تقول في المرخم :

- يا جعفُ / يا جعفَ (جعفر).
- يا أحمُ / يا أحمَ (أحمد).
- يا حارُ / يا حار (حارث).

هذان اختياران جائزان أمام المتكلم والكاتب ، يختاران منهما ما يحبان ، وله يشتهيان.

٩- ويا قارئ دستور العربية قد تجد من عامة القوم من يتندر معك ، أو يمازحك ويعابثك ـ بالثاء لا بالسين ـ بهذين المثالين :

- أكلت السمكة حتى رأسُها ، أو رأسَها ، أو رأسِها ، بالرفع والنصب والجر لكلمة (رأسها).
- لا تأكل السمك وتشرب اللبن ، يأتي الفعل (تشرب) مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ، كيف ؟ أنا أقول لك :

• يرفع الفعل (تشرب) على إضمار مبتدأ ، تقدير الكلام : (لا تأكل السمك وأنت تشرب اللبن) فالواو استئنافية ، ليست عاطفة.
• الجزم على التشريك بين الفعلين ، أي النهي عن الشيئين ، أكل السمك ، وشرب اللبن كليهما.

- النصب على معنى الجمع ، حظر الجمع بين أكل السمك وشرب اللبن.

نأتي إلي المثال الثاني : (أكلت السمكة حتى رأسها) يصح في كلمة (رأسها) الرفع والنصب والجر ، على النحو التالي :

- (أكلت السمكة حتى رأسُها) بالرفع ، على اعتبار أن (حتى) حرف ابتداء ، أي بعدها تبدأ الجملة وتستأنف (رأسها) مبتدأ مرفوع ، والخبر تقديره (أكلت) أي حتى رأسها أكلت ، فلم يبق على شيء منها حتى الرأس.
- (أكلت السمكة حتى رأسَها) بالنصب ، على تقدير فعل محذوف ، أي (وأكلت رأسَها أيضا).
- (أكلت السمكة حتى رأسِها) بجر رأسها ، فكلمة (حتى) هنا بمعنى (إلى) أي : أكلت السمكة إلى رأسها ، أي إلى أن انتهيت إلى الرأس.

وهكذا ترى - أيها القارئ الكريم - أن الإعراب ليس أضحوكة يتندر بها الجهلاء والبدهاء - البادهون السذج - من الناس ، بل على أسس وقواعد ، هو يعتمد ويتكئ.

وهذا مثالان مما يتندر بهما العامة ، يمكن أن يسألك أحدهم ، ولتعرف أنه في نظام إعراب عربية بني يعرب نظام محكم ، إذا اختلف فسبب من المعنى - هنا - وقصد المتكلم ، وإن كان في كثير الأحيان - كما مثلنا سابقا - يعطي النظام الإعرابي للمتكلم الحرية كاملة في اختيار ما يرى من إعراب.

وبعد هذه الاستطرادة الخفيفة فهل فرغت يا صاحب نظرية سيد قراره من ضرب الأمثلة على حرية القرار واتساع الاختيار ؟ كلا ، عندي بضعة أمثلة أبثها لقارئ الدستور ، منها :

أ - الظرف المبهم : ما شانه وما قصته يا طويل العمر ؟ الظرف المبهم إذا أضيف إلى مبني جاز أن يكتسب منه البناء ، كما تكتسب النكرة التعريف من إضافتها إلى معرفة ، مثال المبهم المضاف إلى المبني قوله تعالى : (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) [١] يقرأ على وجهين ، الأول : رفع (بين) على أنه - لأنه - فاعل ، والثاني : البناء على الفتح ، ومثاله أيضا :

(إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ) [٢]

يقرأ برفع (مثل) على أنه صفة لحق المرفوعة ، وبالبناء على الفتح أيضا.

ب- الزمن المبهم الذي لا يدل على زمن معين ، مثل (حين - وقت - زمان) إذا أضيف إلى جملة جاز أن يعرب حسب موقعه ، أو يبنى على الفتح ، مثال قوله تعالى :

(هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) [٣]

يقرأ برفع (يوم) على أنه خبر للمبتدأ (هذا) أو البناء على الفتح. [٤]

جـ - يجوز أن يأتي خبر المبتدأ إذا جاء جمعا مكسرا لمن يعقل، مفردا مؤنثا ، أو جمعا مذكرا سالما ، فيقال :

- الطلاب متفوقة.
- الطلاب متفوقون [٥].

د- وهذا طرف من الاختيارات نقلناه لقارئ الدستور من (مغني اللبيب [٦]...) وكلها في إعراب الفعل ، عدا المثال الأخير :

---

(١) ٩٤ ، الأنعام.
(٢) ٢٣ ، الذاريات.
(٣) ١١٩ المائدة.
(٤) أبو الخير - الصرف العربي والنحو ، ص٩٦.
(٥) د. شوقي ضيف - تجديد النحو ، القاهرة ، ص٨٧ ، ٨٨.
(٦) ٥٢٧/٢.

- (ما تأتينا فتحدثنا) لك رفع الفعل (تحدث) على العطف ، فيكون شريكا في النفي ، بمعنى (لا تأتينا ، ولا تحدثنا) أو أن يرفع على الاستئناف فيكون مثبتا ، أي : (فأنت تحدثنا الآن).

ويجوز أن ينصب بأن المضمرة بعد الفاء :

- (هل تأتيني فأكرمك) لك الرفع على العطف ، أو الاستئناف ، أو بأن المضمرة وكذا في : (ليتني أجد مالا فأنفقه) الرفع أو النصب على إضمار (أن).
- (ليقم الفائز فنكرمه) الرفع على القطع ، والجزم بالعطف ، والنصب بإضمار (أن).
- (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ ...) [1] الجزم بالعطف ، أو النصب بإضمار (أن).
- (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) [2] يجوز أن تكون كلمة (الأعلى) صفة لكلمة (اسم) فتكون منصوبة ، أو صفة للرب فتكون مجرورة.

ولكن يا قارئ الدستور لي عندك مثال أخير من غير المغني ، هو :

- يجوز في اسم الفاعل إضافته إلى ما يليه من مفعول ، وفي هذه الحالة ، لا ينون اسم الفاعل ، إذا إن العربية لغة منطقية مع نفسها لا تنون المضاف ، ولا المعرف بأل ، إذ التنوين - وهو في الغالب مفيد للتنكير - أو في عامته ، لا يجتمع مع التعريف ، والذي يكتسب بالإضافة وبأل التعريفية.
- كما يجوز جرأو نصب ما بعد اسم الفاعل على أنه مفعوله (هو مكرم علي) أو (مكرم عليا) كلاهما صح صحيح ، وحق حقيق.

---

(١) ١٠٩ ، يوسف.
(٢) ١ ، الأعلى.

المادة السابعة والثلاثون

{٣٧}

لا تقوم الجملة العربية دون رابط بين أجزائها ، خاصة في حالة تعدد الجمل.

لا تترك العربية جملة من جملها دون ربط محكم بين أجزائها ، سواء أكانت جملة بسيطة ، مكونة من فعل وفاعل -فقط- أو مبتدأ أو خبر ، أم جملة طويلة مكونة من عدة جمل ، فمثال النوع الأول :

١- المبتدأ والخبر : كلاهما مرفوع ، الخبر مطابق للمبتدأ في النوع والعدد :

- محمد مؤمن.
- سعاد مؤمنة.

٢- الفعل والفاعل : مطابقة في النوع :

- صام المسلم.
- صامت المسلمة.

هذا نوع من الربط بين أجزاء الجملة البسيطة ، فإن طالت الجملة ، وتعددت أجزاؤها ومكوناتها كانت أدوات وآليات أخر لإحكام ترابط الجمل الكبرى ، وهذي أمثلة :

١- حروف العطف تربط بين أكثر من كلمة ، وأكثر من جملة ، مثل :

- جاء حسن ومحمد.

- صاحبي يأكل ، ثم ينام مبكرا.
- (هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ [(١)]).

٢- واو المفعول معه ، مثال : (سرت والنيل - سرني سيرك والنيل - استيقظت والفجر) فالواو قد ربطت بين هذا المفعول وبين باقي جسم الجملة ، أو ما قبل الواو.

٣- الحال : إذا كان الحال جملة ربطت الواو بين الجملة الحالية ، وباقي جسم الجملة (جاء ابنى والمطر منهمر) وتسمى واو الحال ، وقد يربط بين الجملة الحالية وباقي الجملة الضمير الذي يرجع إلى صاحب الحال (أقبل محمد وجهه مشرق) وقد يأتي الضمير مع الواو : (جاء علي والحق معه).

٤- جملة الصلة : وفيها ضمير يعود على الموصول يتبعه نوعا وعددا :

- (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) [(٢)].
- (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) [(٣)].
- (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا.....) [(٤)].
- (فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ) [(٥)].

٥- جملتا الشرط والجواب : يربط بين جملة الشرط والجواب أداة للشرط ، هذه الأداة يمكن أن تكون حرفا (وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ - أَوْ تُخْفُوهُ - يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ) [(٦)].

---

(١) ١٦ ، الرعد.
(٢) ٧٤ ، الزمر.
(٣) ١ ، المجادلة.
(٤) ٢٩ ، فصلت.
(٥) ٨٧ ، طه.
(٦) ٨٧ ، طه.

ويمكن أن تكون الأداة اسما ، مثل (من - ما - متى - أين - أني ...) الخ كما في : (مَن يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ [1] - وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ [2]).

وإضافة إلى أداة الشرط التي تربط بين الشرط والجزاء هناك أيضا الجزم لكلا الفعلين إن كانا مضارعين ، هذا نوع من الربط بين الجملتين.

الشرط والجزاء مضارعان في الأصل (وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ) [3] ويكونان ماضيين (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) [4] أو ماضيا ومضارعا (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا) [5].

ولكن الجواب إذا فقد بعض شروطه جاءت الفاء ، كما في :

٦- الجملة الاسمية (وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ) [6].

٧- الجملة الطلبية (إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) [7].

٨- الجواب فعل جامد (إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ۝ فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً) [8].

يلاحظ في كل ما سبق أن الفاء دخلت على الجواب كرابط بين جملتي الشرط والجواب [9].

٩- جواب القسم : إذا كان جملة فعلية مثبتة مضارعة أكد باللام والنون معا ، وهما نوع من أنواع الربط في الجملة ، مثل (والله لأقومن من مكاني).

---

(١) ١٢٣ ، النساء.
(٢) ١٩٧ ، البقرة.
(٣) ١٩ ، الأنفال.
(٤) ٨ ، الإسراء.
(٥) ٢٠ ، الشورى.
(٦) ١٧ ، الأنعام.
(٧) ٣١ ، آل عمران.
(٨) ٣٩ ، ٤٠ الكهف.
(٩) راجع هذه المواضع التي تجب فيها الفاء على الجواب في الكامل لأحمد صفوت ١٢/٢.

وإن كان الفعل ماضيا متصرفا قرن باللام وقد (والله لقد فاز باللذات كل مغامر) فإن كان الماضي جامدا قرن باللام فقط (ورب الكعبة لنعم الرجل مصطفى).

وإن كان جواب القسم جملة اسمية اقترن بان واللام (والله إنك لناصح أمين).

١٠ـ النعت : مطابقة النعت للمنعوت في الإعراب والنوع والعدد ، كل هذي روابط بين التابع ومتبوعه :

١١ـ (جاءني عبد الرحمن الشاعر ـ قرأت عن فدوى الشاعرة).

١٢ـ (استشرت صديقين مخلصين ـ استشرت أصدقاء مخلصين ـ رأيت طالبات نابهات).

هذا النوع من المطابقة ، هو نوع من الربط بين أجزاء الجملة في عربية بني يعرب.

١٣ـ التوكيد : لن نتحدث عن التوكيد اللفظي الذي هو تكرار نفس الكلمة أو الجملة حيث هذا التكرار لا يحتاج إلى ربط ، مثل حديث ، (أيما امرأة أنكحت نفسها بغير ولي ، فنكاحها باطل ، باطل ، باطل).

لكن في التوكيد المعنوي بكل ألفاظه : (نفس ـ عين ـ كل ـ جميع ـ عامة ـ كلا ـ كلتا) لابد من إضافة هذه الألفاظ إلى ضمير يطابق المؤكد في النوع (المذكر والمؤنث) والعدد (الإفراد ـ التثنية والجمع) ليحصل الربط بين التابع والمتبوع ، ولا يجوز حذف هذا الضمير استغناء عنه بنية الإضافة [1].

وهذي أمثلة : (جاء الزوج نفسه والزوجة عينها ـ انصرف الرجال كلهم

(١) السابق ١٢٧/٢.

والنساء كلهن ـ انصرف الرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما) وهكذا ، الضمير الذي يعود على المؤكد هو الرابط في الجملة ، كما رأيت.

هذه نماذج من الروابط بين الكلمات وبين الجمل تدل على عناية العربية بالربط بين أجزاء الجملة العربية.

المادة الثامنة والثلاثون

{٣٨}

تتميز العربية بكثرة الجموع فيها ، بما أنها لغة شاعرة فإنها تحتاج إلى أنواع مختلفة من صيغ الجمع ، حتى تناسب كل صيغة الوزن والإيقاع المطلوب في اللغة الشاعرة.

من الأمور اللافتة في لغة بني يعرب كثرة صيغ الجموع فيها مقارنة بغيرها من اللغات ، فهذه لغة الملايو - مثلا - يمكن أن تستخدم الكلمة الواحدة للمفرد والمثنى والجمع ، مثل كلمة arab تستخدمها للمفرد والمثنى والجمع ، وبنوعيه المذكر والمؤنث.

بل قد تجمع الكلمة بتكرارها مرتين ، مثل :

- anak anak أطفال ، مفرد anak طفل (مع ملاحظة أن k في آخر الكلمة تنطق همزة).
- alat a lat آلات ، مفرد alat آلة ، وفي بعض الأحيان يكتب رقم 2 بدل الكلمة الثانية ، هكذا alat 2.

في اللغة الإنجليزية تضاف s مثل flats ، هذا الصوت يمكن أن يجهر ليصبح z أو حتى iz ، مثل floods حيث جاورت s الصامت d المجهور ، فأجهرت s

ولا يجمع هذا الجمع إلا ما كان من الثلاثة إلى العشرة ، فهو من أبنية القلة ، فإن أطلق بإزاء الكثير فتجوّز ، وإنما كان كذلك لأن (هذا الضرب من الجمع على منهاج التثنية ، فكان مثله في القلة) [1].

ويقول برجسترإسر : (وفي المذكر المرفوع /u:/ والمجرور والمنصوب /i:/ كما هي الأكادية ، والضمة الممدودة هي علامة جمع المرفوع في الفعل أيضا ، كفعلوا وافعلوا ، ويتضح من هذا أنها من العناصر الأصلية في الفعل أيضا ، كفعلوا وافعلوا ، ويتضح من هذا أنها من العناصر الأصلية للغات السامية ويلحق بهما في العربية النون المفتوحة إذا كانتا غير مضافتين ، كما أنها تلحق بالمضارع مرفوعا ، نحو يفعلون ، وكإلحاق النون المكسورة بالتثنية غير المضافة نحو يدان ويدين ، وربما كان أصلها yada:na بفتح النون ، فأبدلت الكسرة بالفتحة لتتابع الحركتين المثلين ، أي الفتحة الطويلة قبل النون ، والفتحة القصيرة بعدها ، وذلك [2] عن طريق المخالفة الصوتية.

وقد فصلت مصادر النحو ومطولاته شروط الأسماء والصفات التي تقبل الجمع بالواو والنون أو الياء والنون ، ولكنها في النهاية تثبت بعض الكلمات التي جمعت بذات الطريقة ، ومع هذا لا تتوافر فيها الشروط التي ذكرها النحاة ، منها : (سنون - عليون ، عالمون - أهلون - بنون - أرضون - قلون - ثبون - عضون - منون - قنون - أرضون - أولو [3] ...) الخ.

وقد وصفت أو وسمت هذي الكلمات وأمثالها بأنها شاذة ، أو ملحقة بجمع

---

(١) ابن يعيش : شرح المفصل ٣/٥.
(٢) برجشتراسر : التطور النحوي ، ص١١١.
(٣) ابن الحاجب : كتاب الكافية في النحو ، انظر ص١٨٤/٢.

المذكر السالم، المهم أنها في النهاية لا تنطبق عليها شروط هذا النوع من الجمع[1]، كما ذكرها النحاة في مختلف كتبهم.

ثانيا : جمع المؤنث السالم : كل ما جمع بألف وتاء مزيدتين في آخره ، ولذا يطلق عليه بعض النحاة (ما جمع بألف وتاء مزيدتين) عادلين عن تسميته بجمع المؤنث السالم ، لأن مفرده قد يكون [2] :

- مذكرا غير عاقل ، مثل سرادق وسرادقات.
- مؤنثا لفظيا فقط ، مثل حمزة وحمزات ، وطلحة وطلحات.
- وقد يكون التأنيث معنويا غير لفظي ، مثل زينب وزينبات ، وربما يكون لفظيا ، أي ذو علامة للتأنيث ، مثل (فاطمة وفاطمات ، ولبنى ولبنيات ، ولمياء ولمياوات).

وكما ألحق بجمع المذكر ألفاظ بعينها أعربت إعرابه ، حدث نفس الشيء هنا أيضا ، مثل : (أولات - عرفات - أذرعات [3]) الخ [4].

ثالثا : جمع التكسير : هو (ما تغيرت فيه صيغة الواحد ، إما بزيادة كصنو وصنوان ، أو بنقص كتخمة وتخم ، أو بتبديل شكل كأسد وأسْد ، أو بزيادة وتبدل شكل كرجال ، أو بنقص وتبديل شكل كرسل ، أو بهن كغلمان) [5].

وله سبعة وعشرون بناء ، منها أربعة للعدد القليل ، وهو من الثلاثة إلى

---

(١) السابق.
(٢) عبد العال : الشامل لجموع التصحيح والتكسير في اللغة العربية ، ص١٩.
(٣) السابق.
(٤) هذه الكلمات الملحقة بجمعي المؤنث والمذكر السالمين بحاجة إلى النظر في شأنها ، وتجلية أمرها ، فلعلها بقايا تاريخية أو لهجية ، أو أتت في سياقات معينة ، في الشعر مثلا ، لأسباب تتعلق بالوزن ، أو القافية ، ومن ثم يجب بَحْث مدى ورودها في القرآن أو الأحاديث النبوية أو غيرهما.
(٥) ابن هشام : أوضح المسالك ٣٠٧/٢.

العشرة ، وهي أفعل كأكلب ، وأفعال كأحمال ، وأفعِلة كأخمِرة وفعلة كصبية ، وثلاثة وعشرون للعدد الكثير ، وهو ما تجاوز العشرة [1].

وقد يستغني ببعض أبنية القلة عن بناء الكثرة ، كأرجل وأعناق وأفئدة وقد يعكس كرجال وقلوب [2].

وعليه فإن الأعداد التي تضاف للمعدود عشرة ، وهي نوعان ، أحدهما الثلاثة والعشرة وما بينهما ، وحق ما تضاف إليه أن يكون جمعا مكسرا ، من أبنية القلة ، نحو ثلاثة أفلس ، وأربعة أعبد ، وقد يتخلف كل واحد من هذه الأمور الثلاثة ، فيضاف للمفرد ، وذلك إن كان مائة نحو ثلاث مائة ، وتسع مائة.

ويضاف لجمع التصحيح [3] في مسائل :

١- أن يهمل تكسير الكلمة ، نحو : (سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) [4] - خمس صلوات - (سَبْعَ بَقَرَاتٍ) [5].

٢- أن يجاور ما أهمل تكسيره ، نحو (سَبْع سُنبُلاتٍ) [6] فإنه في التنزيل مجاور (سبع بقرات).

٣- أن يكون تكسير الكلمة واردا ، لكنه مع وروده قليل الاستعمال ، نحو قوله تعالى : (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) [7] فإن تكسير آية على آي وارد عن العرب ، ولكنه ليس كثيرا في استعمالهم ، فلهذا عدل عنه إلى جمع المؤنث السالم الكثير الاستعمال.

---

(١) السابق.
(٢) السابق.
(٣) السابق ٢٥٢/٤.
(٤) ٢٩ ، البقرة.
(٥) ٤٣ ، يوسف.
(٦) ٤٦ ، يوسف.
(٧) ١٢ ، النمل.

ويضاف لبناء الكثرة [1] في مسألتين :

١ ـ أن يهمل بناء القلة ، نحو : (ثلاث جوارٍ ـ أربعة رجال ـ خمسة دراهم).

٢ ـ أن يكون له بناء قلة ، ولكنه شاذ قياسا ، أو سماعا ، فينزل لذلك منزل المعدوم فالأول نحو (ثلاثة قروء) فإن جمع قرء على أقراء شاذ ، والثاني نحو (ثلاثة شسوع) فإن أشعاسا قليل الاستعمال.

يقول الدكتور محمود الطناحي [2] : (ولعل أقدم من عرف جمع التكسير تعريفا يميزه عن قسيميه ـ جمع المذكر ، وجع المؤنث السالمين ـ ابن جني فقد قال في تعريفه : هو كل جمع تغير فيه نظم الواحد وبناؤه ، ويكون لمن يعقل ، ولمن لا يعقل، وإعرابه جاء على آخره ، كما يجري على الواحد الصحيح ، نحو هذه دور وقصور ، ورأيت دورا وقصورا ، ومررت بدور وقصور).

أما برجشتراسر [3] فيقول : وإذا اطلعنا على الجمع رأينا جمع التكسير يتبع في بعض الأوقات كأن مذكر مجموع ، وفي بعضها كأنه مؤنث مجموع ، وفي أكثرها على أنه مؤنث مفرد ، بغير رعاية لمفرده ، أكان مذكرا أم مؤنثا ، وأما الجمع الصحيح فنجد علامة المذكر منه تلحق بالاسم المؤنث في بعض الحالات ، نحو أرض وأرضون ، وسنة وسنون ، ومائة ومئون ، وعلامة المؤنث منه تلحق بالاسم المذكر في الكثير منها ، نحو : اصطلاح واصطلاحات.

ويرى برجستراسر أن جمع التكسير في الأصل ليس بجمع ، بل هو اسم جملة يعني أنه يدل على جنس متركب من غير واحد من الأفراد ، والجمع يدل على الأفراد المتعددة ، ونجد أيضا أن أوائل استعمال الجمع المكسر ترجع إلى زمان قديم ، وأن

(١) ابن هشام : أوضح المسالك ٤/٢٥٤.
(٢) جموع التكسير والعرف اللغوي ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، جـ٧١ ، ص١٣٩.
(٣) التطور النحوي ، ص١١٣.

القليل من أبنيته يوجد نظيره في اللغات (السامية) الشمالية ، وأكثرها خاص بالعربية والحبشية.

والمسألة النظامية هي : أي نسبة تقوم بين الجمع المكسر والجمع السالم ، وسائر الأبنية الدالة على جملة أو أكثر ؟ وما الفرق بين هذه الأنواع كلها في المعنى وفي الاستعمال ؟ ... الخ [1].

رابعا : اسم الجمع : هو ما دل على معنى الجمع ، وليس له واحد من لفظه غالبا، وليس على وزن من أوزان جموع التكسير المحفوظة ، مثل (قوم - رهط) ومن العلماء من يعد من هذا النوع ألفاظ (ركب - صحب - سُفر) ومن العلماء من يعدها جموعا ، وإن لم تكن على وزن من الأوزان المحفوظة لجمع التكسير ، ويدعي أن أوزان جموع التكسير محصورة في هذه الأوزان التي رواها سيبويه ، وتناقلها عنه العلماء [2].

ويقول عباس حسن [3] : (اسم الجمع ليس له مفرد من لفظه ومعناه معا ، وليست صيغه على وزن مكسر ، أو غالب فيه ، مثل إبل وقوم وجماعة).

أما برجشتراسر [4] فقد أسمى هذا النوع من الجموع بشيء آخر ، وهو أسماء الجملة - كما ألمحنا قبلا - وقد عرفه بقوله : (هي الأسماء التي تدل على جنس متركب من الأفراد ، وهي كثيرة في اللغات السامية وغيرها ، منها القَوم والحي - أي القبيلة - والأهل والركب والقطيع من الغنم نفسها ، والضأن والطير إلى غير ذلك ومعناها معنى الجمع ، ومعنى المفرد ، فهي تشبه الجمع في أنه يعبر بها

(١) السابق ، ص٧.
(٢) ابن هشام : أوضح المسالك ٢٤٦/٤.
(٣) النحو الوافي ، ص٤/٦٨٠.
(٤) التطور النحوي ، ص١٠٧.

عن غير واحد من الأفراد ، وتشبه المفرد في أن القوم مثلا وإن احتوى على عدد كثير من الناس ، فهو فرد يميز عن غيره ، ولذا يمكن جمعه على أقوام ، وكثيرا ما اشتقوا من مادة اسم الجملة اسما دالا على الواحد أيضا ، نحو راكب واحد بخلاف الركب المحتوى على كثير منهم ، وكلاهما موجود في العبرية ، وقد تكون مادة الواحد غير مادة الجملة في بعض الأوقات ، نحو القوم ، فالواحد من رجل أو امرأة).

على أية حال فإنني لا أدري لماذا اختار برجشتراسر اسم الجملة بدلا من اسم الجمع ؟ ومع أن المعنى لا يختلف كثيرا ، فقد جاء في القاموس المحيط [1] : (وجَمَل جمع ... والشيء جمعه عن تفرقة ، والحساب رده إلى اسم الجملة ... والجملة جماعة الشيء) فإننا سوف نستخدم اسم الجمع ، وليس اسم الجملة ، حيث لم نجد أحدا يستخدم مصطلح برجشتراسر ، سواء من القدماء والمحدثين.

خامسا : اسم الجنس : ينقسم إلى قسمين ، اسم الجنس الجمعي ، واسم الجنس الإفرادي، فالأول أي الذي يكون الفرق بينه وبين مفرده بالتاء نحو تمرة وتمر ، ونخلة ونخل وبقرة وبقر وسفينة وسفين ولبنة ولبن ، أو بالياء ، نحو رومي وروم ، وتركي وترك وحبشي وحبش وعربي وعرب [2].

يقول ابن يعيش : (إنما هو عندنا اسم مفرد ، واقع على الجنس ، كما يقع على الواحد ، وليس بتكسير على الحقيقة ، وإن استفيد منه الكثرة لأن استفادة الكثرة ليست من اللفظ ، وإنما هي من مدلوله ، إذا كان دالا على الجنس ، والجنس يفيد الكثرة ، والكوفيون يزعمون أنه جمع كسر عليه الواحد) [3].

---

(١) ٣/ ٣٤٠ ، ٣٤١.
(٢) ابن الحاجب : كتاب الكافية في النحو ١٧٨/٢.
(٣) ابن يعيش : شرح المفصل ٧١/٥.

واسم الجنس الجمعي يقع على القليل والكثير ، فيقع على التمرة والتمرتين والتمرات ، وكذا الروم ، فإن أكلت تمرة أو تمرتين ، وعاملت روميا أو روميين جاز لك أن تقول : أكلت التمر ، وعاملت الروم ، ولو كانا جمعين لم يجز ذلك ، كما لا يقع رجال على رجل ، ولا رجلين، بل قد يكون بعض أسماء الأجناس مما اشتد في معنى الجمع ، فلا يطلق على الواحد والاثنين ، وذلك بحسب الاستعمال لا بالوضع كلفظ الكَلِم) [1].

والفرق بين اسم الجمع ، واسم الجنس الجمعي ـ مع اشتراكهما في أنهما ليسا على أوزان جموع التكسير ـ أن اسم الجمع لا يقع على الواحد والاثنين بخلاف اسم الجنس ، فضلا عن أن الفرق بين المفرد واسم الجنس هو التاء أو الياء ، بخلاف اسم الجمع [2].

أما اسم الجنس الإفرادي ، فهو ما يصدق على الكثير والقليل ، مع أن اللفظ واحد ، مثل ماء وذهب وفضة وخل وزيت وقطن ... الخ [3].

ومن الواضح أن الفرق بين اسم الجنس الجمعي واسم الجنس الإفرادي أن الأخير غير قابل للعدد ، على عكس الأول ، فالتمر عدد من التمرات ، والشجر عدد ، والنخل عدد ، أو يمكن عده ، في حين إن الزيت والماء مثلا غير قابلين للعد ، وهكذا.

سادسا ـ جمع الجمع : وفي العربية شيء آخر مختلف عن غيرها من اللغات ، خاصة غير السامية [4] ، هو ما يسمى بجمع الجمع ، نحو يد وأيد وأياد ، وقول

---

(١) كتاب الكافية في النحو ١٧٨/٢.
(٢) السابق.
(٣) الطناحي : جموع التكسير والعرف اللغوي ، ص١٣٩.
(٤) يرى برجشتراسر أن جمع الجمع يوجد مثله في الحبشية ، انظر التطور النحوي ، ص١١١.

وأقوال وأقاويل ، وبيوت وبيوتات وجمال وجمالات [١].

يقول سيبويه : (واعلم أنه ليس كل جمع يجمع ، كما أنه ليس كل مصدر يجمع، كالأشغال والعقول والحلوم والألباب ، ألا ترى أنك لا تجمع الفكر والعلم والنظر ، كما أنهم لا يجمعون كل اسم يقع على الجمع، نحو التمر) [٢].

قال ابن يعيش : (اعلم أن جمع الجمع ليس بقياس ، فلا يجمع كل جمع ، وإنما يوقف على ما جمعوه ، فلم يكن بنا حاجة إلى جمع ثان ... وإنما يجمعون الجمع إذا أرادوا المبالغة في التكثير ، والإيذان بالضروب المختلفة من ذلك النوع ، على تشبيه لفظ الجمع بالواحد ، وقد جاء في جمع القلة ، وفي جمع الكثرة ، وهو في جمع القلة أسهل ؛ لدلالته على القلة ، فإذا أريد جمع الكثير جمعوه ثانية) [٣].

ونختم الحديث عن الجموع في العربية بما يلي :

الأول : هناك بعض الكلمات في العربية لم يرد لها جمع ، مثل :

١- اليم : بمعنى البحر ، وردت في القرآن ثماني مرات ، كلها مفردة معرفة بالألف واللام ، وقد سألتني إحدى المدرسات عن جمع لها ، فلم أجد لها جمعا في المعجمات الموسعة ، رجعت لنفسي فقلت إن من سأل هذا السؤال لا يمكن أن يكون اطلع على المعجمات الكبيرة - مثل تاج العروس للزبيدي، أو لسان العرب- أقصى ما يمكن أن يكون اطلع عليه هو أحد المعجمات المتداولة (المعجم الوسيط) مثلا وفيه الخير والبركات ، وبالفعل وجدت في مادة (ي م م) :

(١) الكتاب ٦١٩/٢.
(٢) السابق.
(٣) شرح المفصل ٧٤/٥.

(اليم) البحر ، ولم يذكر الوسيط له جمعا ، أو يشير ، لكنه أضاف : (واليم : الحمام الوحشي ، جمع يموم) والمقصود بالحمام الوحشي - غير المستأنس - أو غيرالمربى في البيوت والأبراج ، ثم يضيف : (اليمام - في علم الأحياء - جنس من طير الفصيلة الحمامية ، من الحماميات، اليمام البري واحده (يمامة).

وعليه فاليمامة جمعها يمام ، مثل حمامة وحمام ، اسم جنس ، (يم) بمعنى البحر لا جمع لها ، ولامثنى ، وهكذا وردت في القرآن الكريم مفردة غير مثناة ، ولا مجموعة ، ولكن (يم) إن جمعت على (يموم) كان معناها (اليمام) وهو ما كنا نسميه ونحن صغار (الجمام) بالجيم ، ليس بالحاء ، مفردة (جمامة) بإبدال الياء في (يمام)، وفي (يمامة) جيما.

وكان هذا الجمام أصغر من الحمام ، ولا يربى في البيوت ، بل يختار أعالى الشجر وأسطح المنازل العالية ليعشعش فيه ، وفي ذات الوقت كنا نعرف بعض أثرياء بلدنا الذين يربون في أبراج ما يسمونه بالحمام البري ، وهو أصغر من الحمام البلدي المهجن المربى في البيوت ، إذ هو أكبر من ذياك الحمام البري ومن (الجمام) أيضا ، أو اليمام.

٢- العَرَق : بفتح العين والراء ، لم يرد لها جمع ، لكن وردت لها تثنية ، كما في (عرق الفرس عرقة أو عرقتين) كلتا الكلمتين بفتح العين والراء فيهما [١] ، أما (أعراق) فجمع (عرق) بكسر العين ، وسكون الراء.

---

(١) المعجم الوسيط ، مادة (ع ر ق).

٣- القبول : ريح تهب من الغرب ، وهي ريح الصبا ، ومقابل (الدبّور) كلمة القبول لا مثنى لها ولا جمع ، ربما استغنت بجمع (دبور) وهو (دبائر - دُبر).

٤- براء : هي آخر كلمة في جعبتي ، لا تثنى ولا تجمع ، ربما استغلوا بجمع (بريء ← بريئون) ومثنى (بريء) أي بريئان وبريئين عن جمع وتثنية (براء).

هذا ما يشبه الرسوب الوظيفي ، أو القوانين التي تنصف الناس وتعيد إليهم حقوقهم ، إن بعض الناس ربما يضارون بمثل هذا القانون الذي ينصف الأقوام ، إلا أنه قد يضار منه ناس من القوم ، وإن كانوا قلة.

المهم أن العربية لم يرد فيها تثنية ولا جمع لما سبق ، ربما لأن صيغا أخرى حلت محلها - أو كلمات - في ذات المعنى ، كما رأينا في (قبول - براء) والله أعلى وأعلم.

الثاني : جمع الجمع: ذهب بعض علماء العربية إلى أن جمع الجمع سماعي ، لا يقاس عليه ، وإن أجازه مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، لكن عند الحاجة فقط ، ورأى أن لا بأس في جمع الجمع أن يكون قياسيا، لا سماعيا.

المحتويـات